التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 153 السنة الثامنة عشر - أغسطس 2020

«أبو الفعايل»

سلمان زيمان : أيقونة الفن والوطن

لا للمساس بحقوق المتقاعدين 22

ما هو جيد للعدالة الاجتماعية جيد للاقتصاد والدولة 24

حسين غباش 30

موقفنا

حق الموظف في نقد السياسات

انتقدت خمس جمعيات سياسية هي: المنبرالتقدمي، التجمع القومي، التجمع الوحدوي، الوسط العربي الإسلامي والصف الإسلامي، في بيان مشترك صادر عنها ما وصفته ب»تهديد موظفي الدولة بجزاءات إن مارسوا حق التعبير عن الرأي، وكأن الحكومة مصانة وفوق مستوى النقد، وهو أمر يمكن أن يخضع لكثير من التأويلات والشكوك حول بواعث الحجر على هذا الحق الذي يعتبر بحسب كل المعاهدات والأعراف الدولية حقاً مقدسًا لا يمكن مصادرته، أو التضييق عليه».

بيان الجمعيات جاء على خلفية صدور القرار رقم 20 لسنة 2020 بتعديل بعض أحكام اللائحة التنفيذية لقانون الخدمة المدنية، والذي تضمّن، ضمن ما تضّمن، إضافة بند على المادة رقم 34 في اللائحة، تحت الرقم 10 ينصّ على أنه «يجوز للموظف طوال شغله لوظيفته نشر وجهة نظره بكافة الوسائل، شريطة ألا يتناول ما يثير الخلافات في المجتمع أو يؤثر على الوحدة الوطنية، أو يوجه النقد لسياسات الحكومة وقراراتها باي وسيلة من الوسائل».

فهذا البند، على الأقل في الجزء المتعلق بمنع الموظف من توجيه النقد لسياسة الحكومة وقراراتها، بصرف النظر عن طبيعة هذه القرارات، مخالف للنصوص الدستورية التي تكفل للمواطنين، ومن ضمنهم الموظفين الحكوميين بطبيعة الحال، حرية التعبير وإبداء الرأي في الشؤون العامة للوطن والمجتمع، بما في ذلك سياسات الدولة.

وكان من الطبيعي أن تنصرف الأنظار حول توقيت صدور هذا التعديل، حيث لفت بيان الجمعيات المشارإليه الأنظار إلى أنه «يأتي في وقت بدأت فيه الدولة تعمل على تنفيذ خطط واجراءات على صعيد إعادة هيكلة الجهاز الإداري الحكومي، وإذا كانت هناك بعض الآمال العريضة المعلقة على هذه الخطوة من منطلق أنها تخدم مرام وأهداف تصب باتجاه هدف الإصلاح الإداري المنشَود، إلا أن الحجر على حرية الرأي والتعبير في أوساط موظفي الحكومة خطوة لا تخدم هذا الهدف وستجعل تلك الآمال مجرد آمال تنتظر وقتها».

أثار هذا التعديل انتقادات واسعة في المجتمع ومؤسسات المدني، في السياق الذي عبرت عنه الجمعيات في بيانها، معبرة عن استغرابها من "الموقف الجامد أو الصامت من جانب معظم أعضاء مجلس النواب إزاء إجراءات تخالف الدستور والمعاهدات والمواثيق الدولية التي تكفل وتصون حرية الرأي والتعبير، تشدد على ضرورة حماية هذا الحق الذي كفله الدستور من عوارض المساس بهذا الحق، وعدم خلق هوّة بين مقتضيات هذا الحق مع ما نصت عليه هذه التعديلات على اللائحة التنفيذية لقانون الخدمة المدنية".

التقدمي

دعا النواب لعدم تمرير تعديلات التقاعد

التقدمي: نرفض المساس بالحقوق المعيشية المكتسبة

رفض المكتب السياسي للمنبر التقدمي كل ما من شأنه المساس بالحقوق المعيشية المكتسبة، وضمنها حقوق المتقاعدين، يدعو لإعادة النظر في التعديلات المعلنة، ويدعم الموقف الشعبي الرافض لها، ويحث مجلس النواب على عدم تمريرها عند عرضها في الدور التشريعي المقبل.

وقال المكتب السياسي في بلاغ له عقب الاجتماع الدوري السبت 18 يوليو، أن أكثر التعديلات التي أدخلت على قانون التقاعد والتأمينات مدعاة للنقد والاحتجاج الشعبي البند الذي نصّ على إلغاء الزيادة السنوية على معاشات المتقاعدين البالغة 3٪، والتي بالكاد تغطي نسبة التضخم السنوية، ما يعني فقدان هذه المعاشات لقيمتها الشرائية بمرور السنوات، وبالتطورات السلبية، الجارية والمنتظرة، في الوضع الاقتصادي للبلاد.

واعتبر المكتب السياسي انه لا يوجد مبرر قانوني لإصدار هذه التعديلات بصفة الاستعجال، وكان الصحيح عرضها على المجلس الوطني بغرفتيه، وتمكين الرأي العام ومؤسسات المجتمع المدني من مناقشتها وإبداء الرأي فيها، لا جعلها أمراً واقعاً.

وأشار التقدمي إلى أنه لا يمكن فصل هذه التعديلات عن مجمل النهج الذي أخذت الحكومة في السير عليه تجاه موضوع التقاعد، والصناديق المرتبطة به، وفي هذا النهج جاءت الخطوة المتسرعة بتطبيق نظام التقاعد الاختياري، الذي سرعان ما اتضح أن صندوق التقاعد عاجز عن تغطية كلفته، وجرت الاستعانة باحتياطي صندوق التعطل عن العمل التي كان يجب أن تصان، لا أن تنفق في غير الغرض الذي أنشئت من أجله، وفي هذا النهج أيضاً يندرج التشجيع على التقاعد المبكر الذي لا ضرورة له.

وتابع البلاغ بأن ذلك يترافق مع غياب الشفافية حول الوضع الحقيقي لصناديق التقاعد، حيث لا تقدم الهيئة المعنية ولا الحكومة بيانات تفصيلية خاضعة للرقابة البرلمانية والشعبية حول مدخرات هذه الصناديق وأوجه الاستثمار وطرق التصرف فيها، لكي يكون المجتمع عامة، والمتقاعدون خاصة، على بينة بهذه الأوضاع.

ودعا المكتب السياسي لتفادي حالة الإفلاس التي ينذر بها وضع الصندوقين اتخاذ تدابير بديلة غير تلك التي تم اتخاذها والتي تنال من المكتسبات التي يحظى بها المتقاعدون وأول هذه التدابير البديلة إعادة الأموال المهدرة التي تم توظيفها على شكل دعم أو قروض أو مساعدات لشركات أو الاستمرار في دفع معاشات تقاعدية تزيد عن الحد الأقصى لعدد كبير من المتقاعدين أو منح وعلاوات وشراء سنين عمل لمتنفذين في الصندوقين من غير أي مسوغ أو أساس يبررها ولم يتم إعادتها لخزينة الصندوق وتقدر هذه الأموال بمآت الملايين.

رفضت المساس بحقوق المتقاعدين وحمّلت النواب نقل صوت الشعب

الجمعيات السياسية: إخضاع استثمارات «التأمينات» للشفافية

أصدرت الجمعيات السياسية بياناً رفضت فيه أي خطوة تمس المتقاعدين وأمنهم الاجتماعي، لافته إلى أن الأوان حق حان لحوار جدي واسع حول وضع هيئة التأمين الاجتماعي، خاصة بين أطراف الانتاج الثلاثة.

وشددت الجمعيات السياسية الموقعة على البيان وهي (المنبر التقدمي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، الصف الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، الوسط العربي الإسلامي، التجمع القومي الديمقراطي، التجمع الوطني الدستوري) على الرفض التام لأي توصيات أو توجهات من جانب هيئة التأمين الاجتماعي في إحداث تغييرات لا تتماشى مع التوجيهات الملكية السامية، ولا تراعي أوضاع الشريحة العظمى من المتقاعدين، وتمس حقوق ومزايا ممنوحة للمتقاعدين، وبخاصة مكافأة نهاية الخدمة، والزيادة السنوية المركبة التي اكتسبوها عبر تاريخ طويل. داعين مجلس النواب لأن يكون ممثلاً لصوت الشعب الرافض لأي توجهات تنتقص من حقوق وامتيازات المتقاعدين.

من جانبها، دعت الجمعيات السياسية الحكومة إلى ضرورة إخضاع هيئة التأمينات الاجتماعية للشفافية المطلوبة، خاصة في إدارة أموال المتقاعدين، واستثمارات الصناديق التقاعدية، وجعل أموال التأمينات خارج حسابات البحث عن بدائل العجز عن الميزانية العامة للدولة.

وأكدّ البيان على دور مجلس النواب وديوان الرقابة المالية والإدارية في تعزيز الرقابة على كل مسارات عمل الهيئة، والنأي بها عن أي ملاحظات سلبية كونها أحد أهم المؤسسات ذات العلاقة بالأمن الاجتماعي. معتبراً ان ردود هيئة التأمينات الاجتماعية لم تخفف من حالة القلق التي انتابت صفوف المتقاعدين، بل عمقت هذا الرد من تلك الحالة، وزاد من حالة الارتباك في صفوفهم.

وقالت الجمعيات السياسية أن الملفات التي تمس مسار عمل وإدارة الهيئة يجب معالجتها معالجة حصيفة ومدروسة ووضع الاعتبار لكل ما يؤثر على أوضاع المتقاعدين ويضيق الخناق عليهم، منوهين على ألا تتفرد الهيئة بأي قرارات أو سياسات جديدة تخص المتقاعدين وأسرهم، بل لابد من عرضها والنقاش حولها تحت قبة البرلمان لضمان بلوغ السبل المثلى لمواجهة التحديات التي تواجهها الهيئة وبما يضمن عدم جعل المتقاعدين كبش فداء لأخطاء أو سياسات إدارية وتوجهات غير مدروسة تفعل فعلها في إثارة فزع الناس كهذا الذي يلوح أفقه الآن.

داعياً لبدء حملة مجتمعية لوقف التعديلات

التقدمي: مزايا التقاعد مكتسبات وطنية لا يجب التفريط فيها

أكد المنبر التقدمي على أن مزايا التقاعد والضمان الاجتماعي مكتسبات وطنية لا يجب التفريط فيها بأي شكل من الأشكال لا سيما أنها جاءت على خلفية عقود من النضال والصبر وعليه نجدد دعوتنا استنهاض كافة قوى المجتمع المدني من أجل مواجهة أي توجهات أو قرارات مرتقبة تمس امتيازات وحقوق العمال والمتقاعدين. ودعا التقدمي في بيان له على خلفية توصيات مجلس إدارة هيئة التأمينات الاجتماعية بتعديل بعض القوانين التي تؤثر بصورة مباشرة على المواطنين، دعا العمال والمتقاعدين لبدء حملة ضغط مجتمعية واسعة تهدف إلى وقف المشروع والبدء في حوار حقيقي، جاد وشفاف، كما ندعو النواب لأخذ دورهم في الوقوف أمام طريقة طرح المشروع بمرسوم بقانون وطرحه على المجلس بالشكل الصحيح، واستغلال الفترة القادمة بالسير في إصلاحات وإجراءات واعدة ومقبولة شعبيًا.

وأكد التقدمي على الحاجة إلى إصلاح جذري للتأمينات الاجتماعية بما يضمن استدامة الصناديق والإدارة الرشيدة والاستثمار الأمثل وذلك عبر حوار مجتمعي شفاف مبني على مراجعة مسببات العجز والمحاسبة الإدارية واسترجاع أموال التأمينات وعدم تحميل العمال وحدهم عبء العجز الإكتواري في الصناديق التأمينية. مشدداً على جميع النواب اتخاذ موقف واضح وحازم تجاه أي مسعى لمجلس إدارة الهيئة يستهدف المساس بأوضاع المتقاعدين وينتقص من حقوقهم. منوهاً إلى ضرورة الالتزام بالدستور وعدم تجاوزه من خلال محاولة تمرير مشاريع عبر المرسوم بقانون في فترة الإجازة البرلمانية كون هذه الأداة مخصصة للقوانين التي تستدعيها الضرورة، وليس للتهرب من مناقشتها أمام البرلمان.

واعتبر التقدمي أنه ليس من العقل والحكمة جعل حقوق وامتيازات المتقاعدين في مهب الريح بالتهديد المستمر بالمساس بجيوب المتقاعدين وجعلهم دومًا عرضة لحالة من القلق الدائم على أوضاعهم والانتقاص من حقوقهم الثابتة بدلاً من العمل على ما يرسخ استقرارهم نفسيًا وماليًا، وتحسين أوضاعهم في ظل زيادة التضخم وارتفاع الاسعار، وطمأنتهم بأن الدولة لن تألوا جهدًا في المحافظة على ما يشكل صمام أمان لأي مجتمع.

فضفضة

الأسوأ لم يأتِ بعد

عيسى الدرازي

ليست التعديلات الصادرة مؤخراً على نظام التقاعد هي التي يجب أن يحسب لها حساب، التوصيات التي وافقت عليها الحكومة وتنتظر عودة مجلس النواب للانعقاد لعرضها عليه هي ما تستدعي الوقوف الوقف ضدها ورفضها. والملاحظ أن كافة التوصيات مسلطة في اتجاه واحد وهو المواطن، والمتقاعدين من ذوي الرواتب المتدنية، ولم تأتِ التوصيات على ذكر السبل المثلى للاستثمار الأنجع، أو كيفية تحصيل المبالغ المستحقة للهيئة، فبحسب تصريح النائب عن كتلة «تقدم» البرلمانية عبد النبي سلمان بأن للهيئة مبالغ مستحقة تفوق 180 مليون دينار بحريني لم تبادر لتحصيلها حتى الآن.

صحيح أن صندوق التقاعد يجب أن يكون صندوقاً تكافلياً، ويجب معالجة الصورة الذهنية المرتبطة بالصندوق بكونه حصّالة ادخار، والانتقال إلى التفكير على انه صندوق تكافلي من حق الجميع وللجميع. ولكن هذا يجب أن يرتبط بصورة مباشرة كذلك بالكيفية التي يدار فيها الصندوق، فليس من الملائم ان يساهم الناس في صندوق من أموالهم وشقاء أيامهم دون أن تكون لهم كلمة مؤثرة ورأي مسموع في طريقة إدارة هذه الأموال.

أحد القياديين لواحدة من الأذرع الاستثمارية للهيئة العامة والتأمينات، يشير بوضوح إلى أن استثمارات الهيئة تعتمد بصورة كبيرة على المجال العقاري، كون الاستثمار في الأسهم مرتبط بمخاطر عالية ومتغيرات عالمية، وكذلك يشير في ذات الوقت إلى أن السوق العقاري تغير الآن كثيرًا، وأصبح العرض أكثر من الطلب. وهو ما يعني بصورة أو بأخرى ركود القطاع، وهو الشريان الأهم في استثمارات الهيئة.

وهنا تأتي أهمية تنويع صور الاستثمارات وعدم حصرها في أنماط تقليدية كالعقار أو السندات العالمية، لسنا في وارد اكتشاف الذرة هنا، التجارب الناجحة عديدة، ومنها الصناديق السيادية في دول الجوار ولن نقول دولًا أبعد. بناء استثمارات مستدامة عبر انشاء مصانع انتاج حقيقية تسهم في تشغيل أموال الصندوق المجمدة في البنوك وتسهم في معالجة مشكلة البطالة. ولكن للأسف أن عقليات قادت هيئة التأمينات تقول صراحة برفع الحماية عن الموظفين البحرينيين، بل وإنهم – أي الموظفين البحرينيين–أقل التزامًا بالعمل وأقل حرصًا على أداء أعمالهم بإتقان من نظرائهم الأجانب.

لا يمكن للشباب البحريني أن ينظر للمستقبل بعين المتفائل، إن كان رجل الأعمال الوطني ينظرلهم بنظرة دونية، ولن يتمكن بهذه الصورة من الحصول على فرصة للمنافسة لدخول سوق العمل، وإن حصل على وظيفة ملائمة، وجب عليه العمل حتى يصبح جدًا لأولاد أولاده.

«التقدمي» يدعو للانضمام للبروتوكول الاختياري لمناهضة التعذيب

دعا المنبر التقدمي إلى تعزيز الجهود الرسمية والمجتمعية بهدف العمل على مناهضة التعذيب، ومعاقبة الجناة وكل من ثبت أو يثبت تورطهم في أي جريمة تعذيب وتقديمه لمحاكمة عادلة وعلنية، والتعويض العادل والتأهيل الاجتماعي والنفسي وإعادة الاعتبار لكل من كان ضحية تعذيب أو إكراه، والانضمام إلى البروتوكول الاختياري لاتفاقية مناهضة التعذيب والانتظام في تقديم التقارير الدورية، بالإضافة إلى إلغاء الإبعاد الإداري للأجانب إلا بحكم قضائي نافذ.

وكان "التقدمي" قد أصدر بياناً بمناسبة اليوم الدولي لمساندة ضحايا التعذيب، أشاد فيه بانضمام البحرين للمواثيق والمعاهدات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان وإنشاء الأجهزة والمؤسسات الخاصة مثل وحدة التحقيق الخاصة والأمانة العامة للتظلمات ومفوضية حقوق السجناء والمحتجزين وغيرها، إلا أنه اعتبرها غير كافية ما لم يترافق معها إطلاق الحريات العامة بإفساح مجال أرحب إلى حرية الرأي وخصوصاً محاربة الفساد والمحسوبية وتوسيع الصلاحيات والأدوات الرقابية وتمكين كافة مكونات وفئات المجتمع من المشاركة في اتخاذ القرار وإلغاء التشريعات التي استثنت عدد منها في حق الترشح في المجلس النيابي.

مؤكداً على إن "ظاهرة التعذيب والاكراه كوسيلة لإنفاذ القانون تأتي كنتيجة طبيعية من استئثار المجموعات النفعية التي تنفرد بالقرار السياسي وترتبط مصالحها الشخصية باستمرار حالة التوتر والتأزيم بين السلطة من جهة والمعارضة من جهة أخرى"، لافتاً إلى أن " حالة التأزيم هذه تكرس الفرقة والتمييز وتشق المجتمع إلى قبائل وطوائف ومجموعات غير متجانسة وتفسح الطريق إلى استشراء الفساد والمحسوبية وتعطي مبرر إلى مصادرة حرية الرأي والحريات السياسية في العموم."

شباب «التقدمي» : مخاوف من زيادة معدلات البطالة في ظل غياب التمكين

أبدى قطاع الشباب والطلبة بالمنبر التقدمي قلقه البالغ جراء انعكاسات جائحة كورونا على الوضع الاقتصادي وأثره السلبي على فرص التدريب والتوظيف والعمل أمام الشباب، وعلى مشاريعهم الصغيرة حتى بعد انقشاع الأزمة الحالية، مما يزيد من مخاوف زيادة معدلات البطالة في أوساط الشباب البحريني حتى في أوساط الخريجين وأصحاب المؤهلات العليا، في ظل غياب رؤية واضحة ومدروسة تعطي الاعتبار اللازم للبحرنة، وعدم إعطاء الأولوية للعنصر البحريني مما يعمق من التحديات التي تواجه سوق العمل البحريني.

وكان القطاع قد أصدر بياناً بمناسبة اليوم العالمي لمهارات الشباب الذي يأتي هذا العام تحت شعار "مهارات لشباب مرن في عصر كوفيد-19 وما بعده"، داعياً إلى التعامل مع ملف بطالة الشباب البحريني كقضية وطنية تخص مختلف مكونات المجتمع.

وشدّد قطاع الشباب والطلبة على أهمية إعادة النظر في تفعيل تطوير منظومة التعليم والتدريب المهني والتقني وتنمية المهارات بشكل يتناغم مع هدف تقوية قدرات ومهارات شبابنا ومجتمعنا لمواجهة التحديات، لافتاً إلى تجاوز المراوحة حيال هدف ربط التعليم باحتياجات سوق العمل، مستدركاً أن هذا الهدف ظلّ شعاراً يتردد في المناسبات دون تحقيق الربط الحقيقي والفاعل والمنشود بين التعليم وسوق العمل وتنمية مهارات الشباب، حتى جاءت جائحة كوفيد 19 لتكشف العديد من أوجه القصور.

وأعرب القطاع عن خالص التقدير والاعتزاز للكوادر الشبابية التي تصدرت الصفوف الأمامية لمواجهة جائحة كورونا كوفيد-19، وسجلوا مواقف وبطولات مشرّفة لا تنسى، وكذلك التقدير لكل المبادرات الشبابية في مختلف ميادين الابداع والأفكار المبتكرة في مختلف الميادين وتدعو إلى تقديم كل أوجه الدعم لتنمية هذه المبادرات.

مؤكدة على حماية حرية التعبير وصون الوحدة الوطنية

الجمعيات السياسية: مصادرة رأي الموظف لا تخدم الإصلاح الإداري

رفضت الجمعيات السياسية بشدة التعديلات التي صدرت مؤخراً على اللائحة التنفيذية لقانون ديوان الخدمة المدنية التي تحظر على الموظف الحكومي إبداء رأيه في سياسة الحكومة أو قراراتها بأي وسيلة من الوسائل، وهو ما يعتبر مساس بحق أصيل للمواطنين، وهو حق حرية الرأي والتعبير كفله دستور مملكة البحرين. مؤكدة في الوقت ذاته على نبذ ما يثير الخلافات في المجتمع أو ما يؤثر على الوحدة الوطنية.

واستنكرت الجمعيات السياسية (التقدمي، القومي، الوحدوي، الوسط العربي الإسلامي، والصف الإسلامي)، تهديد موظفي الدولة بجزاءات إن مارسوا حق التعبير عن الرأي، وكأن الحكومة مصانة وفوق مستوى النقد، وهو أمر يمكن أن يخضع لكثير من التأويلات والشكوك حول بواعث الحجر على هذا الحق الذي بحسب كل المعاهدات والأعراف الدولية يعتبر حقاً مقدسًا لا يمكن مصادرته، أو التضييق عليه، خاصة أنه يأتي في وقت بدأت فيه الدولة تعمل على تنفيذ خطط واجراءات على صعيد إعادة هيكلة الجهاز الإداري الحكومي، وإذا كانت هناك بعض الآمال العريضة المعلقة على هذه الخطوة من منطلق أنها تخدم مرام وأهداف تصب باتجاه هدف الإصلاح الإداري المنشود، إلا أن الحجر على حرية الرأي والتعبير في أوساط موظفي الحكومة خطوة لا تخدم هذا الهدف وستجعل تلك الآمال مجرد آمال تنتظر وقتها.

كما استغربت الجمعيات السياسية الموقف الجامد أو الصامت من جانب معظم أعضاء مجلس النواب إزاء إجراءات تخالف الدستور والمعاهدات والمواثيق الدولية التي تكفل وتصون حرية الرأي والتعبير، تشدد على ضرورة حماية هذا الحق الذي كفله الدستور من عوارض المساس بهذا الحق، وعدم خلق هوّة بين مقتضيات هذا الحق مع ما نصت عليه التعديلات الأخيرة على اللائحة التنفيذية لقانون الخدمة المدنية.

متحدثًا في ملتقى «التقدمي»

الصيّاد: العجز المالي وصل إلى 12% وسيشهد ارتفاعاً مقبلاً

توقع الخبير الاقتصادي الدكتور محمد الصياد ارتفاع العجز المالي في الموازنة العامة للدولة إلى ما يفوق 12٪ من اجمالي الناتج المحلي خلال العام الجاري. مؤكداً إلى أن المؤشرات كثيرة الدَّالة على حجم وطبيعة التحديات التي تواجه اقتصادنا الوطني هذا العام والعامين أو الثلاثة المقبلة، قبل أن يعود العالم لحالة التعافي شبه الكاملة من هذه الصدمة الفيروسية/الاقتصادية العظمى.

وكان الصياد متحدثاً في ندوة بعنوان «الوضع الاقتصادي في بلادنا والمنطقة، إلى أين؟» التي استضافها ملتقى الأحد الذي ينظمه المنبر التقدمي.

وأشار الصياد إلى أن إجمالي الناتج المحلي البحريني وفقا لبيانات البنك الدولي، 37.75 مليار دولا أمريكي (حوالي 14.3 مليار دينار بحريني)، اعتماداً على القطاعات التالية باعتبارها المحرك الأساس لدورة نمو الإجمالي، وهي: صادرات النفط الخام، صادرات المنتجات البترولية كالتكرير ومعالجة الغاز، ومنتجات الألمنيوم الأوَّلي، ومنتجات البتروكيماويات، والتأمين، واصلاح السفن، والتجارة، والسياحة.

وأوضح الصياد إلى أن كالة التصنيف الأمريكية ستاندرد أند بورز قالت في أحد تقاريرها الصادر في مايو الماضي أن، العجز المالي في البحرين يشهد تناميا مطردا، حيث وصل إلى 12٪ من الناتج المحلي الإجمالي هذا العام، ارتفاعا من 4.6٪ في 2019. وأرجعت الوكالة ذلك، إلى حد كبير، إلى انخفاض أسعار النفط، وتوقعت، في ضوء ذلك، أن ينكمش الاقتصاد البحريني بنسبة 5٪ في العام الجاري.

في جانب آخر، لفت الصياد إلى أن العمالة الوافدة تعتبر عنصر ضعف في الاقتصاد البحريني. وقال أن بيانات هيئة تنظيم سوق العمل أوضحت بأن اجمالي قوة العمل بلغ في القطاع الخاص حتى الربع الأول من عام 2019، 748 ألف و47 عاملاً، منهم 594 ألف و944 عمالة وافدة، في مقابلة 153 ألف و103 عمالة وطنية، أي ان نسبة البحرينيين في اجمالي قوة العمل في القطاع الخاص لا تتجاوز 20،5٪.

مشيراً إلى أن ملف العمالة الوافدة يعتبر من الملفات الشائكة والحساسة بالنسبة، ليس فقط لدوائر صناعة القرار، بمختلف مستوياتها، وإنما بالنسبة للمجتمع البحريني بمجمله. موضحاً أن العمالة الوافدة هي حصيلة تراكمية يربو عمرها على 45 سنة، منذ بدأت موجات استيراد العمالة الوافدة من بلدان جنوب وجنوب شرق آسيا وافتتاح مئات مكاتب الاستقدام منتصف سبعينيات القرن الماضي، تزامنا مع طفرتي أسعار النفط في 1973 و1979. مشيراً إلى أن العمالة الوافدة اليوم أصبحت مكوناً أساسيا في نموذجنا الاقتصادي، على غرار بقية بلدان مجلس التعاون الأخرى، القائم على أجور العمالة الوافدة الرخيصة الآسيوية أساساً.

إصلاح صندوق التقاعد يجب أن يبدأ من الداخل

عبد النبي سلمان: 187 مليون دينار مستحقة للتأمينات لم تُحصّل و854 مليون مجمدة

أكدّ النائب عن كتلة تقدّم البرلمانية والنائب الأول لرئيس مجلس النواب عبد النبي سلمان على أنه في الوقت الذي يتجه فيه مجلس إدارة هيئة التأمينات الاجتماعية لإلغاء الـ ٣٪ الزيادة السنوية على المتقاعدين نرى بأن هناك ١٨٧ مليون دينار بحريني لم تحصلها الهيئة، لافتاً إلى الهيئة أودعت ما يقارب إلى ٨٥٤ مليون دينار كودائع بنكية وبنسبة فائدة منخفضة جداً تصل إلى٤٪، مشدداً أن اصلاح التأمينات يبدا بإصلاح من الداخل.
وكان سلمان متحدثاً في ندوة ملتقى التقدمي التي قدمها بعنوان «التأمينات الاجتماعية هل تكون الجائحة القادمة»، وشارك فيها النائب عن كتلة «تقدم» البرلمانية فلاح هاشم، والدكتور حسن الماضي العضو السابق لمجلس إدارة هيئة التأمينات الاجتماعية، بالإضافة إلى عضو اللجنة المركزية في التقدمي الدكتور عبدالجليل النعيمي.

عبدالنبي سلمان

فلاح هاشم

د. حسن الماضي

سلمان: حذرنا من افلاس الصندوق قبل ٣ أشهر

قال سلمان بأنه حذّر من افلاس صندوق التقاعد قبل ما يزيد عن3 أشهر في إحدى جلسات مجلس النواب عبر سؤال برلماني لوزير المالية رئيس مجلس إدارة الصندوق. وأوضح سلمان بأن تقرير الخبير الإكتواري قال بصراحة بأن الصندوق سيصل إلى مرحلة النفاذ في 2024. مشيراً إلى أنه لا يصح لا يصح معالجة مشكلة صندوق سيادي يواجه الاستنفاذ من خلال حلول ترقيعيه.

وشدد سلمان على أن إصلاحات صندوق هيئة التأمين الاجتماعي يجب أن تبدأ من الداخل، عبر اعتماد الكفاءة في اخيار أعضاء مجلس إدارة الصندوق، لأن ذلك من شأنه أن يؤمن ديمومة للصندوق ويسهم في تطويره والخروج بحلول مبتكرة في وقت اشتداد الازمات.

وتابع: يعتمد الصندوق حالياً على مجموعة من الخبراء الأجانب لقيادة الاستثمارات والتي في غالبها لا تخرج عن القطاع العقاري، وهو ما يدلل على قصور في إدارة هذه الاستثمارات وعدم تنويع القاعدة الاستثمارية. واعتبر سلمان بأن هؤلاء الخبراء لا يكلفون أنفسهم عناء التفكير في مشاريع إنتاجية حقيقية ذات قيمة مضافة تساهم من تشغيل العمالة الوطنية.

وأشار سلمان إلى أن تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية تشير إلى وجود مبلغ 187 مليون دينار مستحقة للهيئة من رجال الاعمال ومن الوزارات ومن الجهات التي يجب ان تدفع الاشتراكات لم تحصلها حتى الآن. وأضاف بأن الهيئة أودعت مبالغ للصندوق تصل إلى 854 مليون دينار في بنكيين فقط وبنسبة فائدة منخفضة جداً تقدر بـ 4٪، لافتاً إلى أن تجميع هذه المبالغ دون استثمار حقيقي يؤدي إلى اثراء البنوك المودعة فيها المبالغ وافقار لصندوق الهيئة.

ولفت سلمان إلى أنه في الوقت ذاته يلجأ مجلس الإدارة لتجميد الزيادة السنوية المقدرة بـ3٪ والتي لن تؤمن للصندوق أكثر من 13 مليون دينار سنوياً. منوهاً إلى أن الصندوق تعرض للإرهاق بسبب خروج الألاف ضمن التقاعد الاختياري قبل أشهر فقط.

الماضي: التقاعد نظام تكافلي

من جانبه، اعتبر د. حسن الماضي العضو السابق لمجلس إدارة هيئة التأمينات الاجتماعية أن صندوق التقاعد هو نظام تكافلي، مشدداً على أهمية معالجة الصورة النمطية عن الصندوق بأن المتقاعد يجب ان يستلم مبالغ مساوية لتلك التي أودعها طوال فترة عمله. مشدداً إلى أن اصلاح صندوق التقاعد هو ضرورة ملحة ولكن يجب ان تكون الإصلاحات في صلب استراتيجية الإدارية للهيئة وآلية استثماراتها. وأوضح أن الصندوق يعاني من مشكلة في هيكلية توزيع رواتب التقاعد، ففي الوقت الذي يتقاضى 75٪ من المتقاعدين أقل من 1000 دينار شهرياً، يستحوذ 3٪ فقط على ما يصل إلى 18٪ من مجمل الرواتب بتقاضيهم مبالغ رواتب شهرية خيالية.

فلاح هاشم: رواتب التقاعد الكبيرة تستنزف الصندوق

إلى ذلك، قال النائب عن كتلة «تقدم» فلاح هاشم إن أصحاب رواتب التقاعد الكبيرة هم الذين يستنزفون صندوق التقاعد. وأوضح أن مجلس النواب في 2018 رفض تعديلات على قانون التقاعد تقدمت بها الحكومة، ووجه جلالة الملك إلى تشكيل لجنة مشتركة بين النواب والحكومة من اجل الوصول إلى توافقات لإصلاحات صندوق التقاعد، الا ان هذه اللجنة لم تجتمع.

النعيمي: اشتراكات الأجانب تغذي الصندوق

من جهة أخرى، قال عضو اللجنة المركزية في التقدمي الدكتور عبد الجليل النعيمي إنه يجب النظر في دفع الأجانب لاشتراكات صندوق التقاعد، مشيراً إلى إنها خطوة من شأنها تغذية الصندوق، مشدداً على أن الدولة عليها أن تتدخل كضامن للحيلولة دون سقوط أعداد كبيرة من الناس ما دون خط الفقر.

يوسف زينل ينتقد إصرار الحكومة على وقف الزيادة السنوية للمتقاعدين

انتقد عضو كتلة «تقدّم» البرلمانية النائب يوسف زينل إصرار الحكومة على وقف الزيادة السنوية للمتقاعدين، رافضاً ما أسماه (سلوك التجاهل الرسمي للمواقف النيابية والشعبية الرافضة لذلك).

وقال زينل في تصريح صحفي بهذا الخصوص: «اختارت الحكومة طريقاً غير صائب، حين فاجأت الرأي العام المحلي بالقرارات التي سبقت اللقاء الحكومي مع ممثلي السلطة التشريعية، ولتقدم بذلك صورة غير إيجابية عن طبيعة العلاقة بين السلطتين، وهي علاقة يجب أن تسير بمحددات التكامل والتوافق لا الإلغاء والهيمنة من طرف إزاء طرف آخر».

وأضاف زينل: "اليوم، وقد قررت الحكومة وقف الزيادة السنوية للمتقاعدين، فإن عليها ترقب التداعيات التي حذرنا منها مسبقاً دون أن تجد أذناً رسمية صاغية، منوهاً إلى أن إبقاء دخل المتقاعد على حاله دون تغيير سيؤدي دون شك لتزايد أعداد الداخلين إلى فئة الفقراء أو محدودي الدخل.

وأكدّ على أن الحكومة تجاهلت النصيحة والمطالبات، لكنها لن تتمكن من تجاهل أثر قراراتها، وقد يتعين عليها الاستعداد لمرحلة أصعب تفرض عليها سد عوز آلاف الأسر البحرينية وعشرات الآلاف من المواطنين، ودفع ثمن أكبر من ذاك الذي وفرته بإيقاف الزيادة السنوية للمتقاعدين.

واختتم زينل حديثه بتذكير الحكومة بتعهداتها الخاصة بعدم المساس بمكتسبات المواطنين والتي قدمتها لمجلس النواب لحظة مناقشة برنامج عمل الحكومة والميزانية العامة للدولة، ومضيفاً: مؤسف أن نجد اليوم خلاف ما تم التعهد به.

«تقدّم» تطالب بالتقدم للهيئات الدائنة بطلب إسقاط مديونية البحرين

اقترحت كتلة «تقدّم» البرلمانية على وزير المالية والإقتصاد الوطني والقائمين على رسم السياسات المالية والاقتصادية في المملكة، بتقدّم مملكة البحرين رسمياً لمجموعة العشرين G20 والهيئات والجهات الدائنة الأخرى، بطلب تخفيف او شطب مديونية المملكة المترتبة لتلك الهيئات والجهات والبنوك الدائنة، مراعاة للظروف المالية والاقتصادية القائمة لدينا، والتي زادتها سوءا تداعيات ملف جائحة كورونا.

ودعت الكتلة إلى الإستفادة القصوى من الظرف الموضوعي القائم حالياً، والمتمثل في التحضيرات القائمة للإجتماع الهام لوزراء مالية مجموعة العشرين G20 والذي تستضيفه العاصمة السعودية الرياض في نوفمبر القادم، وسط أجواء تخيم عليها حالة من الانتظار والترقب والكثير من المخاوف والتداعيات المنتظرة حول العالم.

وأشارت الكتلة في بيان بهذا الخصوص إلى أنه من المزمع ان يناقش الاجتماع المنتظر ملفات مالية واقتصادية مهمة، يأتي على رأسها ملف المديونية العامة للدول، وبشكل خاص مديونية الدول الفقيرة، حيث تقدمت اكثر من 43 دولة من أصل 75 دولة حتى الآن، بطلب إعفاء او تخفيف او شطب مديونيتها، ومن المنتظر ان يرتفع عدد تلك الدول خلال الأسابيع والأشهر القادمة القادمة، وسط دعوات دولية متزايدة بضرورة دعم الاقتصادات الناشئة حول العالم.

وأكدّت «تقدّم» على أن سرعة التحرك تجاه تقديم طلب بهذا الخصوص سيعطي مملكة البحرين فرصة واعدة للحصول على مكاسب مالية وتجارية واستثمارية مهمة، ويحسن من التصنيف الائتماني وجاهزية اقتصادنا الوطني، ويدعم معدلات النمو، وديمومة الصناديق التقاعدية في المملكة خلال الفترة القادمة.

زينل يدعو لتعاضد مجتمعي وحوار وطني يُصحِّحان البوصلة

على صعيد آخر دعا عضو «تقدّم» النائب يوسف زينل إلى إطلاق حوار وطني في مملكة البحرين، في سياق تعليقه على ما أفرزته تعديلات التقاعد من حالة غضب شعبي تجاه القرارات التي مست بشكل مباشر حقوق المتقاعدين.

وأضاف: تصحيحاً لبوصلة هذا الغضب الذي بات موجهاً ومركزاً ناحية النواب، وتوجيهاً له من أجل حفظ هذه الحقوق، تحتاج البحرين حواراً وطنياً تتشارك فيه مختلف الجهات الرسمية والنيابية، إلى جانب مؤسسات المجتمع المدني ذات العلاقة، وصولاً لصياغة رؤية وطنية تنتج توصيات تؤطر ما صدر من قرارات وفق محددات تقي البلد والناس مزيداً من التداعيات.

وتابع: لن تجدي حالة الشد والجذب منافع للناس، ومن المهم أن ينتبه الجميع إلى حاجة النواب لتعاضد شعبي، بدلاً من صب جام غضب تجاه قرارات انفردت بها الحكومة، وهمشت عبر ذلك موقع السلطة التشريعية ودورها الأساسي في صياغة القوانين لا البصم عليها.

في لقاء افتراضي مع الإعلامي حسن المحفوظ

هاشم يُحذّر من استنزاف الصناديق التقاعدية

في لقاء مع الإعلامي حسن المحفوظ على منصة «انستجرام»، استعرض عضو كتلة "تقدّم" النائب السيد فلاح هاشم رأي الكتلة بخصوص ما نص عليه المرسوم بقانون رقم (21) لسنة 2020 بشأن صناديق ومعاشات التقاعد في القوانين والأنظمة التقاعدية والتأمينية.

وأوضح هاشم إيجابية ما ذهبت إليه المادة الأولى من المرسوم بدمج صندوقي العام والخاص التقاعديين، وتوحيد مزايا الصندوقين وبالذات بتحديد سقف أعلى للمعاش التقاعدي وخاصة في القطاع العام أسوة بالقطاع الخاص، لكنه يرى أن مبلغ 4000 دينار كحد أعلى للقطاع الخاص مرتفع ايضاً، ويجب الذهاب إلى ما هو ادنى من ذلك، كأن يتروح المبلغ بين 2500 و3000 دينار كحد أعلى، لأن ذلك سيساهم في الحد من استنزاف الصناديق ويلبي الغاية من التأمين الاجتماعي الذي من مهماته، علاوة على تأمين حياة كريمة للمتقاعدين تضييق الفجوة بين المستوى المعيشي للمواطنين مما يساهم في درجة أعلى من العدالة الاجتماعية، كما أن توحيد الصناديق ووفق البيانات الرسمية من هيئة التأمين الاجتماعي سيطيل عمر صندوق القطاع العام 6 أعوام على حساب تقصير عمر الصندوق الخاص 3 أعوام .

وقال هاشم إن ما أقرّ في المادة الثانية من المرسوم بتوقيف الزيادة السنوية كان لها آثار سلبية على معظم المتقاعدين، وخاصة ذوي المعاشات المتدنية، مؤكداً على ان هذه الزيادة تعتبر من أساسيات المحافظة على القيمة الفعلية للمعاش التقاعدي من التآكل بفعل التضخم السنوي وهو ما سيؤثر على مستوى معيشة المتقاعد فإيقافها، خاصة لأصحاب المعاشات المتوسطة والمتدنية يخل بهذا المبدأ.

ورأى هاشم أنه كان بالامكان، بدل توقيف هذه الزيادة، تحديدها اسوة بعلاوة تحسين علاوة تحسين معيشة المتقاعدين خاصة في الفئتين الاوليتين.

وحول شراء سنوات الخدمة الإفتراضية التي سيتم إلغائها، طالب هاشم باستعادة ما تمّ تسديده لشراء خمس سنوات خدمة لمسؤولين تنفيذيين في الهيئة سددت من اموال المشتركين بمبلغ يفوق 471 ألف دينار، ما يفوق مجموع اشتراكات العمال طوال العام الذي تمت فيه هذه العملية التنفيعية لهذه المجموعة بدون وجه حق.

هاشم يلتقي القائمين على إدارة المؤسسات الأهلية في الدائرة

التقى عضو «تقدّم» النائب فلاح هاشم بممثلي المؤسسات الاهلية في الدائرة الخامسة بالمحافظة الشمالية، وهي الدائرة التي يمثلها في مجلس النواب، حيث جرى استعراض العديد من المواضيع والاحتياجات الخدمية لاهالي المنطقة، وكان أبرزها: الملف الاسكاني وهموم أبناء المنطقة في هذا المجال، وما تحتاجه الدائرة من متطلبات لتطوير البنية التحيتة من شوارع وشبكة الصرف الصحي، وإفتقار المنطقة للمنتزهات والحدائق والمماشي.

كما جرى أيضاً تناول الأمور المتصلة ببناء وإعادة بناء دور العبادة من مساجد ومآتم وغيرها، وما يعانيه القائمون عليها من تعقيدات في إنهاء المعاملات المتعلقة بها تمتد إلى عشرات السنين في بعض الحالات دون أن يحصلوا على الأوراق الرسمية بهذا الخصوص، وكذلك مناقشة المصاعب التي تواجه الجمعيات الخيرية، خاصة لجهة ترخيص جمع المال للقيام بدورها في تأمين مساعدات للعوائل المحتاجة والمتعففة لتقيها ذل التسول أو الضياع

كما تطرق النقاش للعديد من القضايا والهموم المتفرقة والتي تعاني منها هذه المؤسسات في عملها اليومي.

.. ويناقش دورمنظومة الحماية الاجتماعية في إدارة الأزمات

نظمّ مكتب عضو كتلة «تقدّم» النائب السيد فلاح هاشم لقاء عبر منصة (زووم) بعنوان: «منظومة الحماية الاجتماعية ودورها في الأزمات"، استضاف فيه كل من د.حسن الماضي عضو مجلس ادارة هيئة التأمين الاجتماعي سابقاً، والسيدة سعاد المبارك عضو مجلس ادارة هيئة التأمين الاجتماعي، وبمشاركة مجموعة من النواب والاخوة النقابيين.

ناقش اللقاء دور صناديق التأمين الاجتماعي وبالذات صندوقي التأمين الاجتماعي وصندوق التأمين ضد التعطل في مواجهة تبعات الأزمات خلال فترات متعاقبة، كان آخرها ازمة جائحة كورونا، حيث أكدّ المشاركون على دور واهداف صناديق التأمين الاجتماعي كخط دفاع للمجتمع بوصفها أحد مرتكزات منظومة الحماية الاجتماعية في الحد من الفقر وحماية الفئات الأضعف من مخاطر الفقر والعوز.

وتطرق المشاركون الى ما آلت اليه الصناديق التأمينة من عجز متنام، نتيجة لسوء الادارة على جميع الجوانب، واستعرضوا ًما هو مطروح من مشاريع غير ذات جدوى في إصلاح الصناديق مشددين على اهمية االتمسك بالمكتسبات وعدم تحميل المتقاعدين تبعات سوء الإدارة طوال الفترات المتعاقبة .

مطرقة البرلمان

صناديق التقاعد.. أي اصلاحات نريد؟!

على مدى أكثر من سبعة عشر عاماً بقيت قضية التأمينات الاجتماعية محل سجال مجتمعي متواصل، ولازالت القضية مرشحة للمزيد، ولذلك بطبيعة الحال أسباب عدة، لعل من بينها أن المعالجات التي تمّ الحديث عنها طيلة الفترة الماضية خضعت بطريقة او بأخرى، إما لابتسار متعمد، أو في أحسن الأحوال لتجاهل تام من قبل المعنيين، حتى أصبحت هذه القضية المحورية ككرة الثلج المتدحرجة، ونأمل ان لا يكون لها وقعاً موجعاً في نهاية المطاف، فهي قضية تحتاج الى تعاط جدي يتجاوز المصالح الضيقة والتعيينات والتنفيع والقرارات العابرة التي طبعت واقع الهيئة إدارياً واستثمارياً بشبهات لا زالت بكل أسف تحوم، ملقية بحممها على كاهل البسطاء الفقراء من العمال والمتقاعدين الذين افنوا زهرة شبابهم في بناء هذا الوطن.

عبد النبي سلمان

في هذه العجالة، يصبح صعباً الإقرار بجملة من الأرقام والنسب والعوائد والإيرادات والفساد والتجاوزات والقرارات الادارية والاستثمارية الخاطئة، فهي كثيرة ومتشعبة بعضها حقيقي والآخر لا يمكن تصديقه والتسليم به، لذلك يصعب علينا أن نقرأ مشهد أوضاع التأمينات الاجتماعية في البحرين من زاوية المطمئنين بكل تلك الحيثيات التي ربما ساهمت طيلة الفترة الماضية في اضفاء مزيد من الغموض على مشهد التأمينات الغامض اصلا!!

لكن ما يمكن ان يقال وقد اصبح جليا بالفعل، هو ان صناديق التأمينات الاجتماعية، وبشكل خاص صندوقي التقاعد في القطاع العام والخاص، والتي سبق ان تنبأ الخبيرالأكتواري السابق للهيئة ان افلاسهما سيبدأ فعليا نهاية العام 2022 فان الحقيقة الماثلة امامنا الآن تقول ان هذا الافلاس قد بدأ فعليا منذ العام 2016 اي قبل اوانه باكثر من ست سنوات. كثيرة هي المعطيات والتي سبق ان قلنا انه من الصعب تصديقها او حتى تكذيها احيانا فانعدام الشفافية والوضوح لا تعطي فسحة للحديث الجاد عن حلول يمكن ان يصدقها الشارع، وحتى نستذكر بعضا من الحقائق التي لامستها لجنة التحقيق البرلمانية الأولى التي شكلت في العام 2003 فأن صرخة الاستغاثة التي اطلقها الرئيس التنفيذي الأسبق في احدى جلسات مجلس نواب 2002-2006 كانت كفيلة لتداعي ثلة من اعضاء مجلس النواب لتشكيل لجنة تحقيق برلمانية في دواعي افلاس وأوضاع التأمينات الاجتماعية، استمر عملها لثمانية اشهر متواصلة خرجت بعدها بتوصيات استدعت اتهام وزيرين هما وزير المالية ووزير العمل السابقين والتي حالت تركيبة كتل المجلس الأسبق من اسقاط الثقة عن كليهما. ما يهمنا هنا ان التوصيات التي تم التوافق على رفعها للحكومة كانت محل اجماع نواب المجلس السابق، وتعهدت الحكومة بتنفيذها، الا ان ذلك لم يتم حتى بعد مرور كل هذا الوقت، وحيث تغيرت معطيات كثيرة على الأرض وأصبحت مسألة الاصلاح تتطلب اكثر من المناداة بالدمج واكثر من توحيد المزايا وأكثر من ضبط ادارة وموارد واستثمارات الهيئة وغيرها من التوصيات، فنحن الآن امام مشهد معقد بالفعل يحتاج اصلاحه الى اكثر من ترقيعات عابرة كتلك التي رفعها مجلس ادارة الهيئة مؤخرا وبشكل متسرع بغية اصلاح ما افسدته سنوات من الضياع وسوء الادارة والفساد والمحسوبية ووجوه عديدة من استنزاف صناديق التأمينات دون حسيب او رقيب.

بكل بساطة مسألة اصلاح اوضاع الصناديق التقاعدية لا يمكن القبول بتحميل اعباءها على كاهل المواطنين الفقراء وفئات المشتركين والمتقاعدين، وهناك امور لا يريد مجلس ادارة الهيئة الحديث حولها، لكنها في اعتقادي كفيلة بتحقيق اصلاحات جذرية واعدة اذا ما تم الاهتداء بها، ولعل اهمها يكمن في اهمية ايجاد مجلس ادارة وادارة تنفيذية قادرة ومحترفة ومتخصصة في ادارة احد اهم الصناديق السيادية في البحرين، ويكفي كل هذا التخبط الذي اوصل صناديقنا الى ان تكون قاعا صفصفا، هناك مسألة حيوية ترتبط بضرورة اعادة هيكلة سوق العمل البحريني بحيث تمثل العمالة الوطنية نسبة وازنة من اصحاب الاشتراكات، فأرقام التأمينات الاجتماعية الراهنة تقول ان هناك اكثر من 600 الف اجنبي في سوق العمل البحريني مقابل اقل من 120 الف بحريني، وفي المقابل هناك اكثر من 95 الف متقاعد يستلمون معاشاتهم التقاعدية وغالبيتهم في اعمار تعتبر نسبيا صغيرة مقارنة بمعدل عمر الانسان البحريني الذي يتجاوز قليلا ال 74 عاما!!

اذا نحن امام اشكاليات عديدة تغذيها ارقام وحقائق لا يمكن دحضها لعل من بينها غياب الحد الأدنى للأجور، وغياب الحد الأدنى للفقر، وحقائق اخرى اكثر مرارة تتمثل في ان سياسات الخصخصة وبرامج التقاعد المبكر ومن بعده الاختياري وماصرف عليها من تعويضات بعشرات الملايين دفعت من اموال الصناديق وليس من ميزانية الوزارات والجهات، المعنية التي كان همها فقط التخلص من عمالتها الوطنية لصالح نزعات الجشع التي اغرقت اسواقنا بعمالة وافدة لأكثر من 57 جنسية في سوق صغيرة لا تحتمل كل تلك الفوضى غير الخلاقة التي كانت نتيجتها ان يطلق الخبير الاكتواري رصاصته الأخيرة معلنا ان صندوق التقاعد الحكومي سيستنفذ بحلول العام 2024 فيما سيقاوم صندوق القطاع الخاص متعكزا حتى العام 2033!!

هنا نتوقف لنسأل اسئلتنا المعتادة التي ستظل تبحث عن اجابات لا تأتي في الغالب.. لماذا تأخر اصلاح الصناديق؟! واين هي استثمارات الهيئة وكيف تدار وما هي آليات تنميتها وهل هي بالفعل مجدية؟، ولماذا تأخر الحديث عن زيادة الاشتراكات والدمج وتوحيد المزايا منذ 2004 حتى الآن ولماذا يجد مجلس الادارة ضالته فقط في استهداف الزيادة السنوية المعادلة للتضخم البالغة 3٪ والتي لا تمثل في مجموعها اكثر من 15 مليون دينار سنويا، بعكس ما ذكره رئيس مجلس ادارة الهيئة حين اجاب على تساؤلاتنا من ان ذلك يكلف اكثر من 6 مليارات دينار.. اي عقل يمكن ان يصدق هذا التلاعب الفظ بالأرقام والنسب والمعطيات؟!! والأهم من ذلك لماذا لا تريد الهيئة الحديث عن اعادة ادخال الأجانب للتأمينات وقد اخرجو منها بقرار اداري منذ اكثر من 43 عاما..اسئلة لا اعتقد اننا سنجد لها اجابات وافية طالما بقي الحديث عن اصلاحات شكلية لا ترقى لطموحات اصحاب الاشتراكات والمتقاعدين الذين تركو لوحدهم يعيشون اوضاع مقلقة، نتمنى ان لا تستمر كثيرا حفاظا على استقرارنا الاجتماعي الذي يجب ان لا يكون مرتهنا لأجندات مفروضة يرسمها صندوق النقد عبر مشاريعه المشبوهة حول العالم! .

أكثر من 100 طبيب أسنان عاطل في البحرين

طالب أطباء أسنان عاطلون المسؤولين المعنيّين بالسماح لهم بتأسيس نقابة خاصة لأطباء الأسنان مستقلة تضمن حقوقهم في الحصول على عمل.

ودعا الأطباء كلاً من وزارة الصحة وديوان الخدمة المدنية بفتح شواغر التوظيف في المراكز الصحية وزيادة عدد المقاعد لأطباء الأسنان في البرامج التدريبية لدى وزارة الصحة وإعلان النتائج بشفافية ومصداقية، مشددين على أهمية بحرنة القطاع الصحي في مجال الأسنان وابتعاث أطباء الأسنان لدراسة تخصصات الماجستير أو الزمالات الطبية لسد حاجة وزارة الصحة من الأخصائيين بدلاً من الاستعانة بالأجانب، كما طالبوا وزارة العمل وتمكين بدعم أطباء الأسنان العاطلين بالدورات التدريبية، وإلزام العيادات الخاصة بتوظيف البحريني وعدم فصله عند انتهاء دعم تمكين، وأوضح الأطباء أن هناك أكثر من 100 طبيب حتى الآن من الحاصلين على التدريب والترخيص بممارسة المهنة من هيئة تنظيم المهن والخدمات الصحية «نهرا» عاطلين عن العمل منذ أكثر من سبع سنوات، مؤكدين أن مشكلة البطالة التي تواجه أطباء الأسنان، لازالت تراوح مكانها، حيث إن أعدادهم في تزايد مستمر.

وقالوا: «لقد مضى على تخرّجنا سنوات ولا نعلم عن مصيرنا أي شيء»، موضحين أن الصحة ترفض توظيفهم بحجة عدم وجود شواغر، في الوقت الذي طرحت فيه الوزارة البرنامج الوطني للتدريب لحل أزمة البطالة بين أطباء الأسنان الذي تبيّن لاحقًا أن المبادرة الوطنية لتدريب أطباء الأسنان البحرينيين العاطلين لم تسهم في حل المشكلة.

ومن جهة أخرى أوضح العاطلون أن العيادات الخاصة تتذرّع بالافتقار للخبرة، مشيرين إلى أن التدريب بدون راتب يحتاج لموافقة من «نهرا» التي بدورها ترفض إعطائه للأطباء المرخّصين باعتبارهم قد أتمّوا فترة التدريب وأصبحوا جاهزين للانخراط في سوق العمل،

وفي السياق نفسه كشف عدد من العاطلين عن ممارسات لا أخلاقية من قبل أصحاب العيادات الخاصة، مشددين أنه يتم استغلالهم للعمل بدون راتب أو الاتفاق مسبقًا – قبل توقيع عقد العمل مع الطبيب – أن الراتب يقتصر فقط من الجزء الذي تسهم فيه «تمكين» دون دفع الجزء المترتب على رب العمل. وهو ما اعتبره أطباء الأسنان العاطلون صورة صارخة من صور غياب الرقابة والمحاسبة من قبل هيئة تنظيم المهن والخدمات الصحية «نهرا» ووزارة العمل من جهة أخرى.

"الأيام" – 19 يوليو 2020

أصحاب الملايين يستحوذون على 68 % من الثروة بالبحرين

كشفت الدراسة السنوية العشرون لإدارة الثروات العالمية التي أجرتها شركة بوسطن كونسلتينج جروب، أن العام 2019 شهد استحواذ أصحاب الملايين على حوالي 68.8٪ من الثروة في البحرين، في حين توقعت الدراسة نمو عدد أصحاب الملايين في المملكة بنسبة 1.1٪ سنويًا خلال الأعوام القادمة.

وقدّم التقرير، الذي حمل عنوان «الثروة العالمية 2020: مستقبل إدارة الثروات – أجندة المديرين التنفيذيين»، نظرة شاملة للقطاع أخذًا بعين الاعتبار العقدين الماضيين والمقبلين وصولاً إلى العام 2040، وذلك بغية تقديم دراسة تفصيلية لنمو الثروات على مدى السنوات العشرين الماضية وتقييم الأثر المحتمل طويل الأجل لأزمة فيروس كورونا.

وتشير نتائج الدراسة إلى أن البحرين استحوذت على 1.1٪ من حصة الثروات الشخصية في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا في عام 2019، حيث شهدت نمواً بنسبة 4.4٪ سنويًا لتصل إلى 100 مليار دولار خلال الفترة بين 2014 و2019. وأوضح التقرير أن الأسهم وصناديق الاستثمار استحوذت على النسبة الأعلى من فئة الأصول المدارة داخليًا في المملكة، حيث استحوذت هذه الفئة على 52.7٪ من إجمالي الثروة الشخصية في عام 2019، بينما يُتوقع أن تكون فئة السندات الأسرع نموًا بنسبة 5.7٪ وصولاً إلى العام 2024.

وقال مصطفى بوسكا، مدير مفوّض وشريك في بوسطن كونسلتينج جروب الشرق الأوسط: "على الرغم من التراجع الحالي في وتيرة الاقتصاد والنظرة غير المستقرة عالمياً للسنوات المقبلة، تشير التقديرات إلى أن البحرين ستستمر في تسجيل نمو مستدام عبر العديد من المجالات ضمن قطاع الثروة".

وقدمت بوسطن كونسلتينج جروب في دراستها رؤية لمستقبل إدارة الثروات من خلال التركيز على دراسة المتغيرات التي ستطرأ على عروض ومقترحات القيمة في قطاع إدارة الثروات على مدى العقدين المقبلين، إلى جانب دراسة تطور أشكال التفاعل وتخمين نماذج الأعمال الجديدة التي ستظهر في المستقبل القريب. إضافة إلى ذلك، قدمت دراسة بوسطن كونسلتينج جروب أجندة شاملة للمديرين التنفيذيين لإدارة الثروات لحماية صافي الأرباح من خلال التركيز على المجالات التي يأملون في زيادة مكاسبهم فيها في المستقبل، بالإضافة إلى بناء قدرات الدعم المناسبة.

"الأيام" – 21 يوليو 2020

إعلان الشواغر للمواطنين قبل استقدام للعمالة من الخارج

أعلنت هيئة تنظيم سوق العمل آلية جديدة تتمثل في نشر إعلان شواغر التوظيف في الصحف المحلية من قبل المؤسسات الخاصة التي تتقدم بطلب استقدام عمالة من الخارج، وستُتاح الفرصة للمواطنين الراغبين في الحصول على الوظائف للتقدم لها، وفي حال عدم التقدم للوظيفة خلال فترة أسبوعين من نشر الإعلان سيتم مباشرة طلب الاستقدام للوظيفة المطلوبة.

وأضافت الهيئة أن الوافدين بالمملكة الذين تنطبق عليهم الشروط بإمكانهم أيضًا التقدم للحصول على الشواغر.

وأضافت الهيئة أن مع تفعيل هذه الآلية الجديدة من تاريخ 9 أغسطس 2020، يكون قد أعيد فتح باب استقدام العمالة من الخارج بعد أن تم وقف إصدار التصاريح الخاصة بذلك منذ شهر مارس الماضي بسبب تداعيات جائحة فيروس كورونا.

وبيّنت الهيئة أن هذه الآلية من شأنها فتح الباب أمام المواطنين للتقدم إلى مختلف الوظائف في القطاع الخاص، وتوظيف مؤهلاتهم وخبراتهم في جميع المجالات، كما أنها تسهّل على مؤسسات القطاع الخاص الوصول إلى العمالة الوافدة الموجودة داخل المملكة، دون الحاجة إلى استقدام عمالة وافدة من الخارج، وبالتالي استيعاب أي فائض في العمالة.

«الأيام» – 2020/7/30

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

100% نسبة تأثر القطاع مقارنة بالعام الماضي

أجمع عدد من منظمي الفعاليات على أن قطاع «تنظيم الفعاليات» بات أحد أكثر القطاعات تضررا بعد أزمة كورونا، وكشفوا عن نسبة تضرر القطاع التي وصلت إلى 100٪ مقارنة بالأعوام السابقة، حيث توقفت عجلة الفعاليات كلياً، آملين أن تشملهم حزمة الدعم الجديدة التي أقرتها الحكومة مؤخرا.

وأكدوا أن الدعم الذي حصلوا عليه خلال الأزمة كان حافزا للاستمرار، مشيرين إلى أن شركات تنظيم الفعاليات باتت لا تعرف مصيرها فيما إذا كانت ستشملها حزمة الدعم الجديدة أم لا. وقالوا – خلال اجتماع عقد «عن بعد» لمناقشة آليات وسبل استئناف نشاط الفعاليات– هناك شركات لديها العديد من الموظفين وأصبح عملهم متوقفاً بشكل كامل، حتى الفعاليات الافتراضية لا تجدي نفعا إذ إنها لا تدخل مردودا ماليا كبيرا.

ولفتوا إلى أنهم وضعوا كل الخطط والآليات لكيفية عودة الحياة إلى قطاع تنظيم الفعاليات والمعارض خلال الفترة الراهنة، لكنهم بانتظار موافقة الجهات الرسمية وأصحاب القرار، مشددين على أن أحد مرتكزات رؤية المملكة 2030 هو تشجيع الاستثمار في قطاعات اقتصادية إضافة إلى القطاع المالي لتنويع مصادر النمو الاقتصادي غير النفطي كالقطاع السياحي وخدمات العمال والصناعة والقطاع اللوجستي وتنظيم الفعاليات والمعارض.

وأشاروا إلى أنه من الضروري توضيح ما هو مسموح وما هو غير مسموح في هذا القطاع وذلك لاستمراره، وقالوا إنه تم وضع تلك الاشتراطات للصالونات مثلاً والمطاعم والمجمعات التجارية وغيرها من القطاعات الأخرى، فلم لا يتم إدخال قطاع تنظيم الفعاليات والمعارض مع تلك القطاعات المستمرة في عملها؟

وأضاف أصحاب شركات تنظيم الفعاليات وخبراء هذا القطاع، أن المتضررين ليسوا فقط شركات التنظيم فحسب، بل حتى الفنادق التي هي المكان الذي يستضيف تلك الفعاليات المختلفة، وأن الفعالية الواحدة يمكن أن تسهم في تنشيط العديد من الشركات والجهات المختلفة من ضيافة ومطاعم وغيرها.

يذكر أن الحكومة قررت بعد الاجتماع والتشاور مع السلطة التشريعية وغرفة تجارة وصناعة البحرين وأخذ مرئياتهم، دفع 50٪ من رواتب البحرينيين المؤمن عليهم في المنشآت الأكثر تأثرًا في القطاع الخاص مدة 3 أشهر ابتداءً من شهر يوليو 2020، وفقاً للشروط والضوابط التي يحددها وزير العمل والتنمية الاجتماعية بالتنسيق مع الجهات المعنية.

كما قررت الحكومة التكفل بفواتير الكهرباء والماء لكل المشتركين المواطنين في مسكنهم الأول مدة 3 أشهر ابتداءً من شهر يوليو 2020 بما لا يتجاوز فواتير الفترة نفسها من العام الماضي لكل مشترك، بالتوازي مع إسناد القطاعات الاقتصادية الأكثر تأثرا من تداعيات فيروس كورونا (كوفيد–19) من قبل صندوق العمل (تمكين) وفق الضوابط والشروط التي يقرها مجلس إدارته

«اخبار الخليج» – 3 يوليو 2020

التقدمي ينعى فقيد الوطن الفنان سلمان زيمان

نعى المنبر التقدمي في بيان له، رحيل الفنان الوطني سلمان زيمان. نوهاً إلى أن البحرين فقدت بفقده أحد أبناءها البررة. ووصف البيان الفقيد بأنه كان فناناً وطنياً وملتزماً بقضايا شعبه وأمته العربية، معزياً عائلة الفقيد خاصة أخوانه واخواته، والوسط الفني والثقافي ومجموع شعب البحرين بخسارة هذا المبدع المميز. مؤكداً إلى أن ذكراه ستظل باقية، من خلال تراثه الغنائي والفني الراسخ في وجدان شعبنا وكل الشعوب الخليجية الشقيقة.

وأشار البيان إلى أن الفنان الوطني سلمانِ زيمان كرّس فنه للقضايا الوطنية والقومية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، حيث لحن وغنى كلمات شعراء المقاومة الفلسطينية الكبار من أمثال توفيق زياد، محمود درويش وسميح القاسم وغيرهم، وترك بصمة قوية لن تمحى في الذاكرة الفنية والغنائية في وطننا البحرين وفي منطقة الخليج عامة. وكان أبرز وجوه فرقة "أجراس" التي شكّلت علامة مضيئة في تاريخنا الفني والوطني، بما أدته من دور في نشر الأغنية الوطنية المنحازة لقضايا الناس، وتشكيل ذائقة فنية بديلة للسائد، وسيبقى تراثها حاضراً تحفظه الأجيال.

وأوضح البيان أن الفقيد التحق الدراسة الجامعية في بغداد، لكنه لم يتمكن من إنهاء دراسته بسبب منعه من السفر من البحرين، شأنه شأن العشرات من طلبة البحرين الذين كانوا يدرسون في الخارج في تلك الفترة، وإضافة إلى نشاطه في صفوف الاتحاد الوطني لطلبة البحرين انخرط الفقيد في صفوف الحركة الوطنية البحرينية، وأصبح عضواً في جبهة التحرير الوطني، ونشط في صفوف الحركة العمالية والنقابية داخل البحرين بعد منعه من مواصلة دراسته.

كما أشار البيان إلى أن الفنان والمناضل سلمان زيمان اعتقل في حملة الاعتقالات الواسعة التي طالت مناضلي ومناصري جبهة التحرير الوطني عام 1986، واستشهد فيها رفيقنا الدكتور هاشم العلوي، واضطر لمغادرة البحرين بعد الإفراج عنه، حيث عاش وعمل لسنوات في دولة الكويت الشقيقة، وعاد للوطن في بداية تسعينيات القرن الماضي ليواصل نشاطه الفني والوطني.

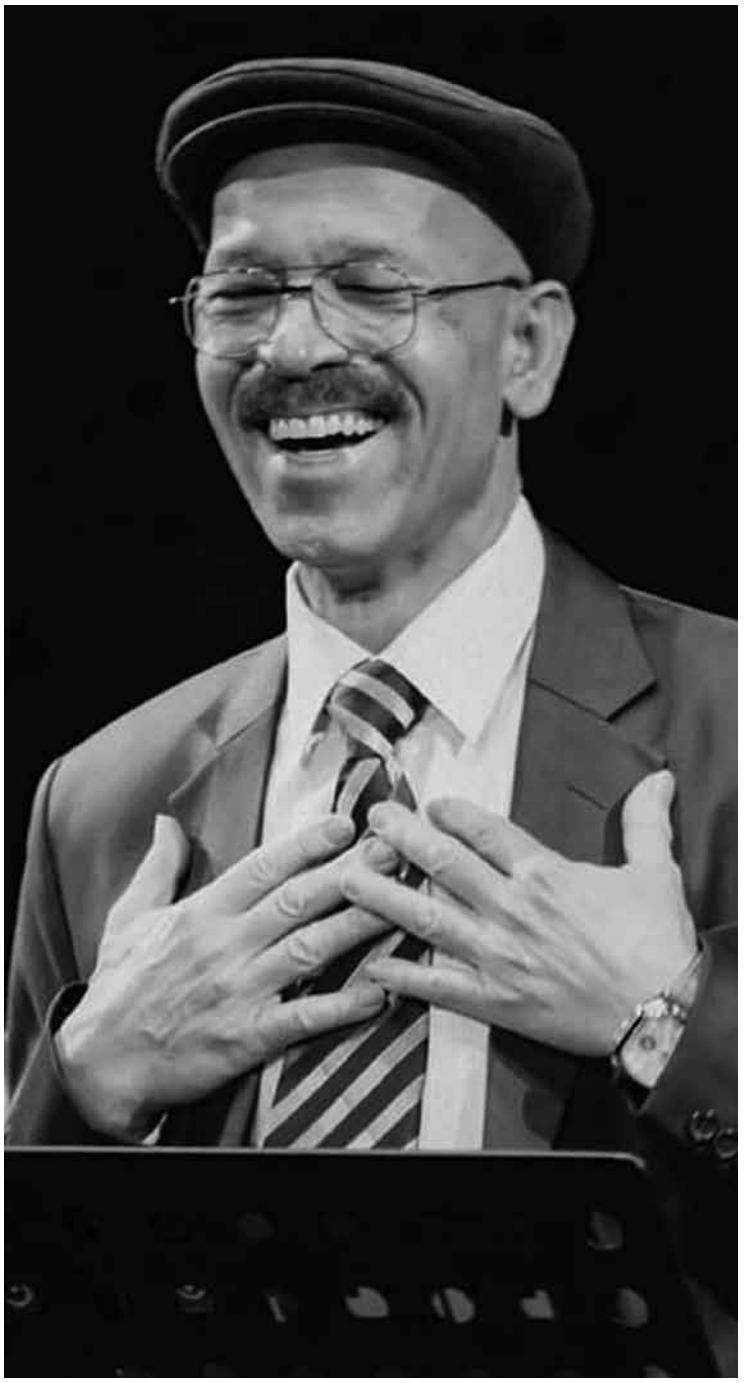

الحركة التقدمية الكويتية تنعى الفقيد سلمان زيمان

أصدرت الحركة التقدمية الكويتية بياناً نعت فيه الفنان التقدمي البحريني الكبير سلمان زيمان، وقالت في بيانها إن: الفنان الراحل من أسرة بحرينية ذات اهتمامات فنية وسياسية تقدمية، وهو مؤسس فرقة «أجراس» الموسيقية الغنائية، ومن مناضلي الحركة الوطنية في البحرين عبر عضويته في «الجبهة الشعبية» وبعدها «جبهة التحرير الوطني»، حيث اعتقل في العام 1986 وبعد الإفراج عنه غادر البحرين وطنه الأول إلى وطنه الثاني الكويت وأمضى فيها عدداً من السنوات أحيا خلالها بعض الحفلات الموسيقية، كما ارتبط بعلاقات صداقة مع الأوساط الفنية والثقافية الكويتية، وكان يقدم دروساً خاصة للعزف على آلة الجيتار، ثم عاد إلى وطنه البحرين».

وأشارت الحركة إلى الإرث الجميل من «الأغاني التي تركها الفنان الراحل، وبينها يا بو الفعايل يا ولد، ربوع الشمال، أحلى الليالي، الله الله بالأمانة، وأقبل العيد».

في قلوب الناس باقٍ
أشعل ذاكرة لن تنطفئ أبداً

د. حسن مدن

في صيف العام ١٩٧٦، أتيتُ بغداد كثاني محطة من محطات الغربة، وضمن من التقيت من أصدقاء ورفاق لم أكن أعرف الكثيرين منهم من قبل، سلمان زيمان، الذي كان يدرس يومها الهندسة في جامعة التكنولوجيا، وهو التخصص الذي لم يتح له التخرج فيه، لأنه حين عاد إلى البحرين في الإجازة الصيفية، منع من السفر كي لا يعود لدراسته، شأنه شأن العشرات من الطلبة والطالبات البحرينيين الدارسين في الجامعات العربية والأجنبية يومذاك، والناشطين في فروع الاتحاد الوطني لطلبة البحرين. ومنذ ذلك الحين كان سلمان محطّ محبة زملائه، فمعدنه الإنساني الطيب يشفّ عن نفسه بكل تلقائية وعفوية.

الوطن والموسيقى توأمان

مذ عرفته عرفتُ فيه تعلقه بالموسيقى. كان الجيتار يلازمه في الشقة التي شاركتهم العيش فيها لفترة في منطقة الأعظمية ببغداد، عليه يعزف ويغني الأغاني الوطنية، والأغاني اليمنية التي تعلّق بها، وقدّم فيما بعد مجموعة منها في ألبوماته بصوته العذب الحنون، مضفياً عليها روحه، فأحبّها الناس، الذين عرفوا الكثير منها، لأول مرة، بحنجرته.

بعد شهور قليلة أتانا، خلال أقل من اسبوعين، ونحن في بغداد، الخبران الفاجعان باستشهاد كل من محمد غلوم والشاعر سعيد العويناتي تحت التعذيب، في واحدة من موجات الإرهاب الأسود ضد الحركة الوطنية البحرينية.

في أحد أعداد جريدة «طريق الشعب» التي كان يصدرها، يومياً، الحزب الشيوعي العراقي، طالعتنا قصيدة في منتهى الرّقة والشجن والألم للشاعر العراقي كاظم الرويعي، مهداة إلى ذكرى الشهيد سعيد العويناتي. سحرت كلمات الأغنية المكتوبة باللهجة العراقية الجميلة التي نحبّ الشاب سلمان زيمان، ولا انسى الأوقات التي كان يقضيها وهو يعمل على تلحينها، بدندات على جيتاره وتمارين على صوته، وهكذا ظهرت أغنيته التي ذاع صيتها في حينه: «دمع الدفاتر حبر».

بعد الصيف التالي لم يعد سلمان إلى بغداد، وأخذتني المصائر إلى ديار أخرى. لكن أخبار سلمان، وتالياً «فرقة «أجراس» وأغانيها التي كانت تصلنا على الكاسيتات ظلت حاضرة معنا. حتى قبل أن تؤسس «أجراس» لحّن سلمان أناشيد وأغان ثورية سجلت سراً ووزعت، وكانت، حين نسمعها، تزيدنا حماساً وأملاً وثقة في صحة خياراتنا في الحياة.

«أجراس» ذاكرة مضيئة

نجح سلمان زيمان ورفاقه في "أجراس" وبينهم أشقاء وشقيقات له، والتي تأسست في مطالع الثمانينات، ولم تنقطع فعالياتها حتى مطالع هذه الألفية، في أن يجعل من الفرقة علامة فنية ونضالية فرضت نفسها في البحرين وخارجها، وباتت جزءاً من ذاكرة مضيئة في الحياة الفنية والوطنية في بلدنا والخليج، وكان لها شأن كبير في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، يذكرنا بالدور والمكانة اللذين كانا لفرقة "ناس الغيوان" في المغرب، مع اختلاف التفاصيل، حيث كانت القاعات التي تحيي فيها حفلاتها تكتظّ بالجمهور من البحرين والبلدان الخليجية المجاورة.

نشأت «أجراس» واستمرت قريبة من مشاعر الناس وتوقهم وفرحهم وشجنهم، ووسط محيط من الإسفاف والفن الاستهلاكي، وحافظت على تميزها وعلى صدقيتها الفنية في تقديم موسيقى وأغان معبرة عن الوجدان الشعبي، وقاومت المحيط المُحبط والقيود الكثيرة التي فرضت عليها، لذلك استحقت محبة الناس وتقديرهم.

بعد خروجه من المعتقل في العام 1986، الذي دخله مع عشرات من مناضلي جبهة التحرير الوطني، في حملة إرهابية جديدة، انضمّ فيها المناضل الدكتور هاشم العلوي إلى قافلة شهداء الحركة الوطنية الذين قتلوا تحت التعذيب، أضطر سلمان لمغادرة البحرين، وبعد حين استقرّ في دولة الكويت الشقيقة، التي عاش فيها عدة سنوات، فكان له هناك أيضاً حضوره الغنائي والموسيقى الواسع، وأصبح وجهاً وفنياً معروفاً فيها وكان محل تقدير واحترام كبيرين في الأوساط الوطنية والفنية والثقافية فيها، التي تذكرته بحزن بعد رحيله المباغت.

البحريني - الفلسطيني

بعد سنوات الإقامة في الكويت عاد سلمان زيمان إلى البحرين، ليواصل عطاءه مع فرقة أجراس التي لم يتوقف نشاطها فترة غيابه، وأقامت عدة مهرجانات. ولم يقتصرسلمان في انتقاءه لكلمات أغانيه على النصّ البحريني وحده، وإنما اختار نصوصاً عربية، الجزء الأكبر منها لأبرز شعراء فلسطين المعاصرين، وفي مقدمتهم محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد، حتى أصبح له ولفرقة «أجراس» تراث غنائي وموسيقي تضامناً مع القضية الفلسطينية يبلغ عشرات الأغاني، بشكل جعل البحرين في مقدمة الدول العربية التي غنت لفلسطين.

ومن كلمات الشعراء الفلسطينين ذاعت لسلمان و»أجراس أغنية «ولي في ربوع الشمال غرام»، و»أم الجدائل» من أشعار توفيق زياد، وغيرهما الكثير، كما كتب هو نفسه كلمات بعض الأغاني التي لحنها وغناها.

في قلوب الناس باقٍ

الرحيل السريع لسلمان زيمان الذي باغت المشاعر المطمئنة لكل رفاقه وأصدقائه ومحبيه، أشعل ذاكرة لم تنطفأ أبداً عن سلمان الفنان الذي يظل فنه حاضراً معنا ومع الأجيال القديمة، فالإبداع الصادق والحقيقي حي لا يموت. الزيف والتفاهة والابتذال هي التي إلى زوال، أما إبداع كالذي خلّفه الراحل بأفقه الإنساني الرحب وإنحيازه للإنسان فسيظل شاهداً على مرحلة هي من أخصب مراحل الإبداع في تاريخ وطننا.

آخر مرة ظهر فيها سلمان أمام الجمهور، كانت في منتصف فبراير الماضي، في احتفالية أقامها المنبر التقدمي في مقره، وبحضور ضيوف منتداه الفكري السنوي من الدول الخليجية الشقيقة، بمناسبة الذكرى الخامسة والستين لتأسيس جبهة التحرير الوطني، حيث أدى، رغم مرضه، أغنيته الأشهر: «يابو الفعايل». كأنه بهذه الإطلالة الأخيرة كان يُلّوح لنا، بابتسامته الصافية التي لا تغادر محياه، مودعاً.

في قلوب الناس لن تبقى فقط ذكرى سلمان زيمان الفنان، وإنما، أيضاً، ذكرى الإنسان الرائع، الحنون، المتواضع، صاحب الخلق الرفيع، المحبوب من الجميع، والقريب من الجميع، سلمان الوطني الملتزم، النزيه، المتفاني الذي تفخر حركتنا الوطنية التقدمية أنه كان أحد أجمل وجوهها المشرقة، الذي لم يكتف فقط بدوره الفني، فاهتمّ، ضمن أعمال كثيرة اهتمّ بها، بذاكرة الحركة الوطنية، من خلال ما سجله من مقابلات مع بعض رموزها ومن بينهم الراحلين أحمد الذوادي والفنان مجيد مرهون الذي ظلّ سلمان لصيقاً به منذ خروج مجيد من السجن، ولازمه في مرضه، حتى وفاته.

سلمان زيمان

فهد المضحكي

لم يتخذ الأغنية وسيلة للكسب أو للاستعراض "للشو" كما يفعل بعض الفنانين والفنانات الذين دخلوا عالم الفن عنوة للكسب والارتزاق على حساب الذوق الفني الرفيع من كلمة والحان وموسيقى.. كان لونه الفني أكثر ارتباطا بالواقع الاجتماعي وبالتالي كان بارزا في ذاكرة الوطن والفقراء وسائر المثقفين الوطنيين .. كان يصرخ في الأمسيات الصيفية الحارة والشتاءات الممطرة تضامنا مع الشعوب المضطهدة التواقة للحرية والديمقراطية دون انحناء او استعباد.. كان حضوره الفني الوطني كبيرا لا تهمه إغراءات الحياة.. تنوعت القصائد الوطنية والأشعار وتناغمت مع مشاعره الإنسانية الفياضة..

عندما تشكلت فرقة أجراس بعناصرها الموسيقية الموهوبة التي قدمت لوحات فنية جميلة معبرة عن الربيع والحياة والمستقبل لمع حضوره مغنيا وعازفا ألوان الحروب الطاحنة في كل مكان والبؤس والشقاء بأسلوب فني واقعي أبعاده الأمل والغد الأفضل.. نعم كان عاشقا لأجراس وهي تعلن بكوادرها الموسيقية عن ميلاد جديد للأغنية الوطنية في زمن كانت صفحات الوطن ودفاتره تحكي حكايات نضالات اجبرت المستعمر على الرحيل.. حكايات ارتبطت بالارض والتحرر والبحر والنخيل والسمر على انغام اليامال والهولو واناشيد قطف الثمار في زمن لم يعرف الوطن فيه الطائفية والكراهية بين مكونات هذا الشعب ولم يعرف تاريخه الوطني قوي الارهاب والتشدد والغلو وكل الطارئين عبيد الماضي والكهوف والعصور الحجرية وفتاوى التكفير والتأثيم والتخوين بل عرف أناس عملوا في صمود شامخ على تحقيق مطامحه وخلاصه من القمع ومخلفات المستعمر.

قبل ثلاثين سنة تفجرت موهبته إبداعا وحينما نريد ان نتحدث عن هذه الموهبة لابد ان نتحدث عن تلك البدايات التي تشكلت عندما اطلق العنان لصوته وهو يغني بانفعال يسوده الواجب والوفاء لدم الشهيد سعيد العويناتي:

دمع الدفاتر حبر او مرن اطيوفك
صبر المنابر شعر من تشتهي اشوفك
يالعابر الظلمة الجبين هلال
بالسيف چفك فتح مستقبل العمال

بعدها انطلق محلقا في عالم الأغنية اليمنية ذات الجمل الموسيقية الغنية بالجمال والمشاعر الصادقة والحب والاحساس الإنساني الرفيع ومن بين تلك الاغنيات التي اطربت الجمهور البحريني والخليجي في عقد السبعينيات احلى الليالي، اقبل العيد، انت مرادي. ولم يقف عند هذا اللون بل راح يغوص في اعماق الاغنية الوطنية وفي ذلك الوقت الذي اصبح فيه هذا النوع من الغناء اكثر تعبيرا عن الهموم والمعاناة راح ينشد:

يابو الفعايل يا ولد
اطرح ثمر لون الغضب
راواني العجب راوني العجب
علم نجايل هالنخل اشلون تروى من البحر.

ولا يقف اهتمامه عند شجون الوطن بل امتد الى خارجه ليعبر حدود اوطان كثيرة تريد الخلاص من الاستبداد. وعندما نعود الى هذه الفرقة الفنية الرائعة بعد ثلاثين عاما يتبين ان غيابها ترك فراغا كبيرا. هكذا كانت رحلته الفنية دون أن يتخلى لحظة واحدة عن لونه الفني المرتبط بالواقع الاجتماعي في الزمن الصعب.. هكذا كان ولا يزال بوسلام البسيط المبدع المتفائل العاشق للحياة وللمقطوعات الوطنية ولكل الناس في القاع الاجتماعي.

سلمان زيمان.. القليل جداً.. الكثير جداً

مالك آل فتيل ★

قبل أعوام، اتفقنا نحن الثلاثة على أن نلتقي في منزل الموسيقار خليفة زيمان، في أحد أحياء منطقة قلالي بالبحرين، وذلك بغرض عرض أعمال مشروع مجموعة "غناتي القطيف" ومناقشة سُبل تسجيلها وتوزيعها.

وصلتُ وشكري عاشور إلى منزل خليفة أولاً. بعد أن استقبلنا خليفة وتوجهنا مباشرة إلى الغرفة المخصصة للأعمال، وما هي إلا دقائق حتى التحق بنا سلمان.

كانت المرة الأولى التي ألتقيه، كان كما هو في الإعلام، متأنقاً ببساطة، ذاك التأنق الذي يستلزم المرء أعواماً طوالاً حتى يتقنه، فائضاً بالحيوية والحماسة. سلم علينا كمن عرفنا منذ سنين بعيدة، واستمع إلى كلمات أخيه خليفة التعريفية بالمشروع، ومع كل كلمة لخليفة كان يهزّ رأسه ويومئ بعينين تطلب الاستزادة والاسترسال.

بعدما تحدث شكري عن أهداف المشروع، لم يخامرني شك في حقيقة شعور سلمان عندما عبّر عن إعجابه بالمشروع، لم يكن من أولئك الذين يقولون ما لا يضمرون، كان صادقاً ولم يكن في حاجة لادعاء الصدق.

استمع إلى جميع أعمال المشروع، بصوت شكري، مع تعليقات قصيرة بين المقطع والآخر من أخيه خليفة، استمع بكل ذائقته، بكل فنه، استمع بكل تاريخه لكل كلمة ونغمة وفاصلة، في لحظات، كان يُشتتُ هذا التاريخ، كان يهدّ جدران السنين بتعليق يخرج من فم يافع مؤمن بفنه وبموسيقاه وبرسالته، وبنظرةٍ تبرق من عينيْ طفل للتو بدأ يستكشف صوته وآلته، للتو بدأ يقلب بين يديه خياراته في الحياة.

بعد أن انتهى شكري من عزف جميع أغنيات المشروع، بادر سلمان بتحيتنا، تحية كبير لكبيرين، كان من أولئك النبلاء الذين إن حدّثوك قاسموك النبل والكبر، وخاطبوا فيك المستقبل الذي يرونه أو يأملونه.

التفت إلى كل شيء في أعمالنا، بدءاً من الكلمة حتى مقترحات التوزيع التي اقترحها أخوه خليفة، وأشار إلى كل جميل في أعمالنا. استوعب الأعمال برغم جدّتها كمن شربها وتنفسها. حينها أدركت كيف أن النيّرين يجيدون إشعال الجمال في كال ما تطاله أيديهم.

انسحب من اللقاء قبل نهايته، بقينا الثلاثة نناقش بعض النقاط المتفرقة. انسحب قبل أن نكتفي منه، ودون أن نشعر بخسارته!

مثلُ سلمان، يهبُك كلّ شيء دفعة واحدة. في لحظة واحدة يندفع إليك كنهر، يهزُّ غصونه بعنف كي تتساقط عليك كل ثماره، يُمطر بكل ما فيه مطر.

بعد هذا اللقاء، التقيته آحاد مرات، بعضها كان خاطفاً، وبعضها امتد لساعات، وفي كل مرة كان يأتي بالتأنق ذاته، وبالحيوية والحماسة. يلتقيك كأنك صديق قديم فارقك دون وداعٍ شافٍ.. تمامًا كما انسحب من هذه الحياة!

كاتب من السعودية، نقلاً عن الموقع الإليكتروني: صحيفة صبرة

لمّ استعجلت الرحيل يا أبا سلام؟

حميد الملا

حزين لدرجة المرارة، لأن رجلاً مثل «أبو سلام» ليس من طباعه أن لا يقول كلمة قبل الرحيل، فالعاشق الولهان لا يترك معشوقته البحرين دون وداع، وليست من عادات «أبو الفعايل» ولا من طباعه أن يذهب دون مقدمات ولا أن يغيب دونما أعذار ولا أن يمتحن عشاق فنه ومحبيه بهذه الطريقة، ولكن وقد فعلها فإنه قد خيب ظننا هذه المرة، وأخذ منا أجمل ما كنا بانتظاره منه من أعمال منتظرة يقوم بها. لا معنى لكل ذلك فالقدر هو القدرولو أن قدر الفنان أن ينطفئ واقفاً كالشمعة، وقدر سلمان أن يكون كذلك لولا صحته التي خانته بغير سابق إنذار.

خبر وفاتك يا أبا سلام وقع علينا كالصاعقة، ذهول ممزوج بعدم التصديق، حزن وكآبة ودموع وقلب مفجوع، كيف لك أن تترجل وترحل بهذه السرعة غير الاعتيادية، وأنت الذي لا تتسرع أبدًا في إطلاق أعمالك الفنية، فالتأني كان شعارك وانتقاء الكلمات بروّية كان هدفك وعملك الفني يمر باختبارات ليصل إلي قرارك ولكن هل من معنى لهذه السرعة في رحيلك أمر يصيب محبيك ومعجبيك بالذهول والفزع والوجوم وعدم التصديق.

شيء ما يتآكل في داخلنا بهذه الفواجع المباغتة، فقد ادخلتنا يا أبا سلام في حالة ذهول وكأن الزمن يمر بسرعة مذهلة عندما نتذكر الأيام الجميلة، أيام كنا طلاباً في الجامعة، وها نحن اليوم نتجرع سم رحيلك . كنت أحاول إقناع نفسي والامل يراودني من أن الخبر المتداول غير صحيح، ولكن الحقيقة كانت أقوى، فضجيج المسجات يتوالى.

عندها تركت لخيالاتي أن تستيقظ لاقول كيف لانسان مثل سلمان زيمان الممتلئ بالحياة أن يرحل وبهذه السرعة. تذكرت أخر التفاصيل، آخر الكلمات، آخر اللقاءات وكأنما شريط الذاكرة عاد يعمل وبنشاط، فالناس الطيبون لا يرحلون عن الذاكرة ويظل طيفهم مغروساً وإن غابوا للحظات. لم تكن لدي إجابات مقنعة سوى استرجاع اللحظات الحلوة التي عشناها معًا في الأعظمية ببغداد، حتى توالت تلك الذكريات وصار من المستحيل تعدادها، عندها أفقت ولست أدري كم مرّ من الزمان على تلك الإفاقة.

عرفت سلمان منذ أن كنا طلابا في جامعة بغداد، كان صديقا لكل الطلبة محبوبا من الكل يعزف ويلحن ويغني ويزرع الفرح في نفوس من حوله ويجعلهم مبللين بالغبطة والسرور. وأشعر بأن هذا اليوم هو أكثر الأيام كآبة وحزنًا فليس من السهل أن يرحل عنك صديق بهذه الطريقة غير المتوقعة وأي صديق؟!، صديق في حجم وروعة سلمان زيمان، فرحيل كهذا يترك فينا لوعة وحزنًا وألمًا وحرمانًا من إنسان مدهش في أخلاقه، في تواضعه، في حسه الوطني، في تعاطيه مع الناس، في فنه الراقي المعبر عن هموم الناس وآلامهم ، في وعيه المبكر وخياراته الفكرية.

أستعيد تلك الذكريات من خلال الصور التي في حوزتي أرى سلمان بطلته البهية وهو حامل للقيثارة والطلبة والطالبات متحلقين من حوله، وهو يعزف ويغني للوطن. كم هو زمن جميل قضيناه بصحبة هذا الانسان الرائع صاحب القلب الواسع، عندها كنا نحلم بالوطن وبالحب،فلولا الحلم لانقرضنا، فرغم صعوبة العيش بعيدا عن الأوطان كانت طلّة سلمان زيمان تزيل عنا الهموم وأوجاع الغربة وفراق الأحبة، فقد كان كالبلسم على محيا كل طالب وطالبة، وظلت الصداقات واللقاءات مستمرة حتى وإن تفرّقنا كل في طريق.

ثمة أشياء في الحياة من موت أو خوف أو حزن يصعب علينا أن نتآلف معها ولكن الموت أعمى ولا يترك أحدًا ويأخذ منا أعزّ الأحباب والأصدقاء والرفاق والزملاء، هكذا هي الحياة على الرغم من جمالها، إلا أن المنغصات والآلام والأوجاع تظلّ لصيقة بالإنسان، ولا رادّ لها فليس كل ما نتمناه ندركه للأسف، فلا فرح من غير حزن ولا ألم من غير أمل.

الخميس الحزين سيبقي في ذاكرة محبيك يا أبا سلام يوما للوعة والفراق والفقدان والالم المضاعف هو إن محبيك وأصدقاؤك ورفاقك في ظل هذا المرض الخبيث الذي يجتاح العالم لم يترك فرصة لنا لإلقاء النظرة الأخيرة على روحك الطاهرة النقية، فسلام اليك وعليك وإلى قلبك النقي المملوء نورا وبهاءً فإنك مازلت في القلب وفي الذاكرة ولن ننساك ما حيينا فأنت باق في القلب والوجدان وفي حنايا الروح فأنت الحبيب وأنت المحب لكل جمَيل، ولن أقول وداعاً بل أنت باقٍ وإن رحلت جسداً.

أنا عاجز عن التقاط ما يليق بك من كلمات وأنت الذي تنساب كلمات أغانيك الجميلة باريحية طارقة أجراس الامل للوطن، للحبيبة، لمن قدموا التضحيات من أبناؤه، فأغنياتك عن الجبهة والعويناتي ومجيد مرهون والشملان باقية في الذاكرة وأختيارك لكلمات الشعراء المعروفين من بحرينيين وعرب كسميح القاسم ومحمود درويش يطرق أسماعنا باستمرار.

مازلت في القلب يا أبا سلام وستظل حاضرًا بيننا بفنك الراقي، وبإرثك في كل ما قدمته مع فرقة أجراس، وبما أسست له من مداميك فنية غاصت في وجدان محبيك ومعجبيك، فالفن الراقي لا يموت وإن غاب صاحبه.

«دمع الدفاتر حبر»

تغريدة غطت ذلك اليوم بالسواد، «سلمان زيمان في ذمة اللّه»... تمنيتها اشاعة مثل تلك الإشاعات القبيحة التي تطال المشاهير بين الحين والآخر، ولكن مع الأسف ليست أكذوبة. شلّت الصدمة عقلي وأخذت مشاعري شيئًا فشيئًا تستوعب الفاجعة. رحل عمي سلمان! هذا الرجل الحنون الدافئ دفء صوته الشجي. عرفته البحرين فنانًا راقيًا ومعلمًا حنونًا ودؤوبًا ووطنيًا شغوفًا، وعرفته أنا ككل ذلك وأكثر، فقد عرفته أيضًا كالرجل الخلوق والصديق الصدوق لوالديّ، والعم الأبوي الحنون فأي حظ جميل حالفني لأنعم في حياتي بهذا الشرف العظيم.

فأخذني "الطائر الهيمان" في زورق الأحزان المبحر في دموعه لعش الذكريات الغالي ذاك الذي عنه رحلنا منذ رحل عنا الزمن الجميل، زمن "أجراس". تذكرت والشوق يغلبني لقاءاتنا. وبما أن "دمع الدفاتر حبر"، قررت رثائه بهذا الحبر الافتراضي ومشاركتكم هذه المحطات التي جمعتني به لتعرفوه كما عرفته تكريمًا لهذه الروح الجميلة التي فقدناها.

الكويت، 1988 – حتّمت علي الحياة الفراق عن والديّ ووطني لدواعٍ علاجية، لم يتوان عمي سلمان الذي كان مقيمًا في الكوّيت آنذاك عن خلق الوقت لإخراجي من جو مركز التأهيل وأخذني معه لشقته للعب مع سلام وأيمن. قد تبدو تلك بادرة صغيرة لكن تأثيرها كان كبيرًا على طفلة في السادسة من عمرها.

الكويت 1988 – تستحضر حواسي رائحة البحر في شاليه صديق العائلة الكويتي العزيز "أبوسلام": وليد الرجيب وأنا مع عائلتي التي تسافر لي برًا كل نهاية أسبوع. تستحضر مخيلتي منظر البحر الأزرق على صدى صوتك يا نسمة بعزّ القيظ، وانت تغني بشجن يا بو سلام (البحريني) على شريط الكاسيت للألبوم الجديد، "ولي في ربوع الشمال غرامٌ".

البحرين، 1989 – بعد خضوعي لعملية جراحية، عدتُ للبحرين ورجليّ مجبرتين بالكامل، فغدوت غير قادرة على الحركة أو اللعب خلال مدة التعافي، حينها زارني عمي سلمان وفي الدقائق الأولى من الزيارة وكأن فطرته الموسيقية طغت فجأة، "ليش ما نعلمها تعزف موسيقى؟"، والتفت الي: "عمي شرايج نعلمج تعزفين مثلنا؟"، وما كان منه الا أن عاد بعد يوم حاضنًا آلة أورغ ليهديني إياها، وبعدها أخذت أول درس لي على يد شقيقه المايسترو خليفة (أبو زياد)، ومن هذه النقطة بدأ شغفي بالموسيقى الذي أضفته بعد سنين لقائمة الهجر والأحلام المنقوصة وخذلاني لنفسي.

البحرين، 1990 – 1993 حماس طفولي وفرحة عارمة تغمرنا ونحن بأبهى حلة وكأنه يوم عيد ونحن نحضر مهرجانات "أجراس" كلنا فخر أننا لسنا كغيرنا من الحضور، فنحن نعرف الفنانين. يصدح صوتك كلما

أمل فريد

تذكرنا تلك الأيام فنحن تربينا نتطلع "للولد بوالفعايل" وعلى دروس "يمّه أرضك".

فكانت «أحلى الليالي وأحلى الأيام» تلك التي كان يزورنا فيها عمي سلمان و«أجراس» ومجموعة الأصدقاء الرفاق على مدى أواخر الثمانينات والتسعينات. كان يفيض بيتنا الصغير المتواضع في مدينة عيسى بالدفء والحب وتصدح الضحكات والطرب والنقاشات في التاريخ والسياسة والوطن، نقاشات منها المفرح المفعم بالأمل ومنها المبكي المليء بالألم والقهر والخوف مما يخبأه المستقبل.

وعلى الرغم من عدم قدرة عقولنا الطفلة آنذاك استيعاب أحاديث الكبار، إلا أننا كنا نمتص كل الشغف والحب والحميمية، نمت فينا هذه الصداقات التي كنا نراها أمام أعيننا احساساً بالأمان، لأنه على الرغم من ندرة وجود أمان الصداقات الحقيقية بإنسانيتها وأفلاطونيتها، طاهرة من العقد والمواريث البالية التي تدنس كل ما هو بريء وطاهر. وعلى الرغم من أن هذا الأمان قد لا يحمينا في كبرنا من قذارة العالم الا أنه مكننا من السعي لخلقها والأمل في خلق عالم أجمل.

البحرين، 1999 – 2001 – وكما شاءت الحياة عندما انتقلت لمدرسة جديدة لاستكمال آخر عامين دراسيين من الثانوية العامة، كانت المفاجئة الجميلة مصادفة مدرس الموسيقى عمي الحبيب سلمان، وكأن الأقدار شاءت أن تعيد ذلك الحظ الجميل لحياتي. وفي آخر عام دراسي لي عندما تعثر معي إيجاد طريقة لإنهاء ساعات خدمة المجتمع التي كانت تتطلبها المدرسة للتخرج، عرض علي عمي بو سلام مساعدته في الفصل. وفي أول يوم لي معه، وبعد أن امتلأ الفصل بطلاب الفصل السابع، بدأ الأستاذ سلمان حصته معرفًا بي باللغة الإنجليزية:

This is Amal. I know her since she was" one day old! She is like my daughter. And she will be helping me in class to ".finish her CAS hours for graduation

(هذه أمل، عرفتها منذ كان عمرها يوم، وهي بمثابة ابنة لي، وهي في الفصل كي تساعدني لاستكمال ساعات الخدمة التي تحتاجها لتتخرج.)

وعلى قدر ما شعرت بالإحراج بحساسية المراهقين الهشة على قدر ما شعرت بالاحتواء والحنان في كلماته وافتخرت بها. وبعد الفصل عاتبني بحنان ورفق على عدم مواصلتي تعلم البيانو.

انتهى العام، ووقفت على المسرح مع زملائي بقبعة ومعطف التخرج نغني نشيد الخريجين، وعاهدت بوسلام مع زملائي بكلماته وألحانه قسمًا أن "أرفع راية الحق خفاقةً في الأعالي" و "أروي زرعكِ حبًا بالدم أفديكِ بلادي." وتوالت السنين والتقينا في ساحات الفن والنضال والاحتفال، وفي كل مرة يغمرني ثغرك البسام ودفء صوتك وهو يحييني بكل حب "هلا بنتي!"

كم سأشتاق لسماعها بصوتك وابتسامتك ولكل هذا الدفء والحب ... شكرًا عمي سلمان

تعازيي الحارة لأحبائي خالتي أم سلام، سلام أيمن ودعيج، أجراس والعائلة والمحبين، تعازيي للبحرين،

"كل أمر سهل من دون الوداع....كيف أنا باودعك"..

لروحك السلام حبيبنا بو سلام.

البحرين بلا سلمان؟!

هكذا بهدوء، وبسلام تام رحل أبوسلام، ذلك الإنسان الذي كان يحمل همومنا أكثر منا نحن أنفسنا، بعد أن حمل في قلبه وعقله ووجدانه هموم وطنه البحرين ووطنه الآخر فلسطين، إلى جانب مكان مشرق من نفسه وضع فيه حب الكويت، التي كان من عشاقها، وكان يبتهج إذا زارها ويراها موطن ميلاده الفني ومستودعاً لأفضل ما عاشه من أيام حياته، بل إنه كان أول من اتصل بي وأنا في أميركا عندما احتُلت الكويت، وفي أول لقاء لي به بعد المشاركة في مؤتمر جدة طلب مني قصيدة مسفر الدوسري (شفاه الله) «أمي قالت» ليلحنها ويغنيها للكويت مع «أجراسه».

سعود العنزي

لم أره أو أسمعه يوماً يشكو همه الشخصي، اللهم إن كان ناجماً عن فقدان عزيز أو رحيل حبيب، لذا عندما رقد في المستشفى منذ شهر مارس، أخفى عن أحبته هذا النبأ، إشفاقاً عليهم من مشقة التفكير في حالته وهم غير قادرين على زيارته بسبب الأوضاع وإغلاق المطارات وتوقف السفر، غير أنني بطبيعة فضول المحب وأسئلتي عن صحته نصبت له شباكاً محكمة لم يجد معها مفراً من أن يبوح بحالته، لكنه أصر على أن يبقى الأمر بيننا وثالثتنا رفيقة دربه وحبيبته أم سلام، حتى في تلك الحالة المتقدمة من آلام المرض، كان تفكيره في محبيه أكثر من نفسه.

رحل أبوسلام دون حتى أن نتمكن من التعزية فيه أو تقبل العزاء به، وهو الذي لم يترك مناسبة سعيدة أو حزينة لدى أحد من أحبائه، وما أكثرهم، إلا سبق إليه ليتواصل ويساعد ويؤازر ويشارك... رحل أبوسلام تاركاً كنزاً من أجمل الذكريات وتاريخاً من العطاء، وقبلهما فراغاً كبيراً لن يملأه أحد بعده.

قبل انتشار الوباء، التقيته، ذات مناسبة حزينة، بعد فقدنا صديقنا وأخانا سيد علي، فقلت له حينئذ: كيف سأزور البحرين مرة أخرى وأنا أعلم أني لن أرى سيد؟! فرد على الفور: وكيف لي أنا أن أعيش في البحرين، وبيني وبين بيت الفقيد مجرد أمتار قليلة وهذه أعماله الفنية وصوره التي أبدع التقاطها، تحاصرني في كل مكان؟! والآن يا أبا سلام بعدما لحقت بصديقنا، ها أنا أكرر عليك السؤال بعدما زادت صعوبته صعوبةً، ومرارته مرارة وغصة: كيف لي أن أرى البحرين بعدما فقدتكما أنتما الاثنين؟

بغيابك يا صاحبي وأخي ورفيقي، غابت أضخم طاقة إيجابية حملتها الأرض، فقد كان مجرد مرور طيفك على خاطرنا أو حتى الحديث إليك يشحن روح محبيك بكل معاني السعادة والاطمئنان والرضا، كيف كنت قادراً على بث مثل هذا السرور في كل مكان ترتاده أو بعثه في كل شخص يراك... آه ما أطيب الحديث عنك، وما أمر رحيلك وأقساه!

منذ التقينا في "ربوع الكويت" في بداية ثمانينيات القرن الماضي، لم تفترق أرواحنا وأسرتانا ودائرة أصحابنا وأحبابنا التي كانت تتسع مع كل لقاء جديد، يشهد ما يشهده من الحب والمرح والثقافة والحديث والمناقشة وطرح الآراء المتعارضة والمتساندة والإنسانيات وهموم الحياة وتخوفاتها.

سلمان زيمان أكبر من أن تعدد مآثره في مقالة ضئيلة الحجم قليلة الأسطر، فقد كان قامة عظيمة إنسانياً وفنياً، ومهما قلت ففي القلب شيء لا تترجمه الأحرف، وليس لنا في هذا المقام إلا أن نعزي أنفسنا وأسرته ومحبيه في غيابه جسداً، لا روحاً، إذ سيبقى ماثلاً في ذاكرتنا، حاضراً في قلوبنا ومناسباتنا بأجمل "ذكريات" تقاسمناها معاً.

وختاماً، أقول لأختي الغالية أم سلام ولأبناء أخي: سلام وأيمن ودعيج، والأحفاد ولجميع أشقائه وشقيقاته وإخوته ولآل زيمان جميعاً: بوسلام باق بوجودكم، فقد عشتم في كنفه ونهلتم من صفاته الطيبة، وأنتم استمرار لذكراه وتاريخه وعطائه... ولروحه السلام وليس لنا سوى الصبر.

«ولي في ربوع الشمال» يا قلب الماء

حمد الصبحي *

لم نعد نفهم هذا الموت، كأنه ينتظرنا على الباب، تحت المخدة، أو ينام تحت جلدنا، الوداعات لا تتوقف، لدرجة لا نجد كلمة صغيرة أن نتوقف عندها، يفجعنا هذا الموت اللعين برحيل أحباء القلب، هؤلاء الذين ينامون في لياليا، يعيشون معنا في مفاصل الحياة، وها هو سلمان زيمان يودعنا، يغيبه الموت، يخطفه من قلوبنا، هذا هو قلب البحرين يتركنا بلا ماء وهو الذي قربنا إلى قلبه.

هذا الصوت الجريح القادم من ماء القلب، ليصلنا مع أجراسه، مريم وهدى وفوزي وخليفة وبدرية وسلوى الذين شكلوا في أجراسهم التي تجاوزت ماء الجزيرة لتعبر القلوب وتسكن في منتصف القلب، وهو الذي غنى"ولي في ربوع الشمال "، التي نهضت بإسمه إلى الأذن العربية، وتمددت مريم وهدى معه في هذه التجربة حتى أقتربن من عالم الطفل وحياة"سنان"، الذي شكل وعيٌ الطفل الخليجي والعربي في السبعينيات، وظل سلمان مع شقيقته ممتدا في ظله الزيماني حتى أصبحت أجراسهم كأجراس الكنائس معلقة تحت السماء، لكن الإجهاضات العربية وماصاحبها من تنكيل بالوعيٌ الثقافي لم نعد نسمع هذه الأجراس البحرينية وطغى عليها الزيٌف والتمييع الموسيقي.

لم يكن زيمان منشورا سياسيا وإن عاش مع مريم وهدى في كنف الحياة الجديدة في البحرين، وفي ظل النهارات البيضاء، الحالمة ب"أحلى الليالي»، وينصهر كالنحاس في دلمون ودمها الثائر، ليكون مع رفقاء المرحلة والرحلة ورفيق مانديلا البحرين، وكأنهما شمس الجزيرة، وهما كذلك، يحفر زيمان إسمه في قلب هذه الجزيرة وفي جزر محبيه، لنودعه بدمعة بحجم ماء البحرين، ونتذكره في "أحلى الليالي" و"الطائر الهيمان" وغيرها من أغانيه الخالدة في القلوب الجريحة، وسنتذكره اكثر في "أقبل العيد».

* كاتب من سلطنة عمان

وداعاً.. أيها الصوت القادم من الحُلم

جنان العود

ونحن نمضي بخطى متعثرة في هذه الأيام التي لا تشبه الأيـام. وبعد أن فقدنا كل أشكال الحياة فصارت الأوقات تتشابه والليالي بلا طعم. يصلنا في هذا الصباح الصيفي الحارق من شهر يوليو نبأ رحيل الفنان البحريني القدير سلمان زيمان، وكأن هذا ما ينقص القلب، خبرثقيل كصخرة تجثم على الروح المتعبة. ويا للصدف، قبيل أيام فقط كنت أسلي نفسي في هذه العزلة الإجبارية بالاستماع إلى أغنية (أم الجدائل) التي أحب، ولأن العلاج الأمثل في هذه الظروف هو استحضار أيامنا الطبيعية الجميلة.

سلمان زيمان أيها الصوت النادر، القادم من الحلم.. وداعاً. أيها الصوت الذي يهمس من الماضي المشتهى دوماً. وداعا أيها القلب الطيب، أيتها المحبة، أيتها الضحكه الصافية. وداعاً أيها المثقف الاستثنائي، القومي والوطني الراسخ في ذاكرة البحرين.

سلمان حين لا يكون الفنان مجرد صوت حالم فقط، بل حالة فريدة متكاملة وروح تشعر بالآخروتدرك همه. عرفته طفلة صغيره يصطحبني أبي لحفلات فرقة أجراس، فكانت تلك من أجمل الأوقات التي ظلت محفورة بذاكرتي أنا وأخوتي. إلى أن كبرت، ظللت أتتبع أخبار سلمان زيمان فكل ما عرفت عن حفلة له حرصت على حضورها، لم أكن لأفوت حفلة يغني فيها أبا سلام.. تطفئ الأضواء، أجلس متسمرة وأغمض عيناي ريثما يغني فيأخذني صوته العذب لطفولتي ، لوجه أبي شاباً ممسكاً بيدي، مهرولاً بي نحو قاعة الحفل في مقتبل التسعينات. لقلبي الذي كان خفيفا حينها. كم أحب صوت سلمان زيمان ليس لأنه نادر ودافئ فقط، بل لأني كنت أجد فيه قدرة هائلة على إيقاظ جوانب بعيدة المنال في روحي. صوته يضيء غرف قلبي المعتمه، ويجعلني أطير لأماكن أراها في الحلم فقط.

ترى هل يعود الزمن؟ مساء ساحر من عام 1993 سلمان زيمان في بيتنا، حين قبل دعوة أبي على العشاء، كان عمري حينها لا يتجاوز السبع سنوات، طفلة كنت لا تتسع الدنيا لفرحتي إذ كنت أتشارك المائدة مع سلمان زيمان بذاته، وأريه الصور الفوتوغرافيه لحفلات أجراس وأشير على صورته لأخبره بأنه موجود في كل الصور، فيضحك ضحكة مجلجلة.

«يهز كياني دبيب الهوا وتأخذني جنة غامرة».. هذه الجملة تحديداً من أغنيته الرائعة (ربوع الشمال) حين يغنيها زيمان بصوته تبدو وكأن معناها يتجدد في كل مرة. كل حفل أحضره له أترقب بشغف أن يغني هذه الأغنية التي تخاطب الوعي قبل الإحساس. أغنية تثير مخيلتي في كل مرة أسمعها بصوته أتخيل مكانا مختلفاً، وهذا مالا يمكن أن تحققه ألف أغنية من أغاني زمننا الحالي. يا لحزني يا أبا سلام، ماعاد خيار إنتظار حفلتك القادمه متاحاً لي.

تترجل اليوم، تاركاً إرثاً من الموسيقى الجميلة المتنوعة، من القصائد التي وجدت معناها بعد أن عرفت حنجرتك، لا شيء يجبر هذا الفقد يا سلمان، لا شيء يداوي هذه الحقيقة المُحزنة سوى إغماضة عين على رفة النخل في صوتكَ الهادئ.

قالوا عن سلمان

■■ عندما أقدم – مع رفاقه ورفيقاته – على تاسيس فرقة «أجراس» كانت اشارة بجماليات العمل النضالي الجاد في الظروف غير المؤاتية. إن خيار "اجراس" كان واضحاً، فالطرق السهلة يمكن لأي كان عبورها. سلمان زيمان اختار الموسيقى والغناء، وهو شكل نضالي لم يكن مألوفاً في المشهد السياسي في البحرين، وربما أراد مع رفاقه اجتراح ما لم تألفه الأفكار النضالية آنذاك، ودون الزعم بطرح القيمة والنجاح أو الفشل في ذلك المشروع، يمكن القول إنه اجتهاد شجاع تيّسر له الاحتدام الروحي لمجتمع قيد التحولات الحضارية، مجتمع بحاجة لاصوات تنّهض معه من كل حدب وصوب.

سلمان زيمان بقيادته لتجربة "أجراس" تمكّن من بذر النبتة الباسلة ليحمل شعلة تلك التجربة، وإذا تأملنا من حولنا سنجد سنجد أن تجارب مختلفة تفرّعت ممن تتلمذ على ذلك الدرس الفني الباكر.

قاسم حداد

■■ في 23 فبراير 2010، وما أن وري صديقنا العزيز مجيد مرهون الـتراب، لحظ تأثري وحزني الشديد فبادر يواسيني ويشد من أزري.. «خلك قوي أخوي محمد».. قلت له: «ما يؤلمني يا بوسلام اننا لم نكمل مشروع كتاب كنا نعمل عليه سوياً يتولى فيه هو التحليل الموسيقي واتولى انا التوثيق والمقابلات».. نظر بعيداً واشار بيده للجهة الاخرى: «هذه القبور كلها مشاريع مؤجلة.».. ها هو يرحل لنبقى نحن في حمأة الحزن نحصى مشروعاته ومشروعاتنا المؤجلة...

ها أن قطعة من قلبنا تذهب.. حيزاً من مشاعرنا صاغه بصوته والحانه يـروح.. قطعة من نسيج ذاكرتنا في تلك المدينة الساحرة التي تنام بين احضان البحر.. ايقونة من ذاكرتنا الوطنية.. سلام لقلبك وسلام لروحك وانت في السماء.

محمد فاضل العبيدلي

■■ إذا كان ثمة حديث عن الإلتزام في الفن فليكن عن سلمان زيمان

غسان الشهابي

■■ يئن قلبي وأنا أرثيه، وقليلة هي الكلمات التي تستوعب هذا الحدث لتعبرعنه، كان نبيلاً جميل الروح خجولاً، وله صوت يقتحم الوجدان. كنت أحب أجمل أغانيه، وحين يغني (ربوع الشمال) بصوته الدافيء كان يحرك كل مشاعري. كانت سهام أغانيه تدخل القلب ولا تجرحه. لم يمت ما دمنا نسمع صوته.

ليلى العثمان (أديبة كويتية)

■■ أقبل العيد ولم يعد طير الزمن الحميم الدافيء يشدو. كم كنا نتمنى أن تكتب سيرة فنان الوطن الممتد من البحر إلى البحر. سلام لروح الطيبين

قمر نسيم (كاتبة فلسطينية)

كنا في الكويت، منتصف الثمانينات، نتناقل وصفه بأنه «مارسيل خليفة الخليج». وعندما أبلغته بهذا ابتسم في هدوء ونظر إلى الأرض في خجل طفولي وتواضع جمّ .. وصمت !

محمود مرسي (صحفي مصري)

■■ سكت الجسد ولم يسكت صوته الرنان في أسماعنا في «أحلى الليالي»، «انت مرادي»، «أصبتني الذكر الاوائل»، «ابو الفعايل يا ولد»، «ربوع الشمال». عشق سلمان زيمان القضية الفلسطينية فغنى لها إيماناً وتعاطفاً وهياماً منقطع النظير، فلم يتنازل عن قيمه ومبادئه الفنية والوطنية. سلمان زيمان لم يمت بسبب سرطان الدم بل قتله التطبيع.

فضيلة الموسوي

■■ غاب الصوت الذي عشقناه حتى دون أن نفهم ما يقول احيانا. فقط هو من بيت زيمان وفرقة «أجراس» لنطرب ل»ربوع الشمال» و»أحلى الليالي» التي تصاحبنا دائما في تجمعاتنا منذ أن ينطلق الباص إلى أي وجهة. سلمان زيمان هو صوت ومعنى لا يمكن تحديده او وصفه. أضاف وجدّد بهدوء ورصانة ورحل وقد اقبل العيد بدونك ابا سلام فرحمة الله عليك حيث كنت وحيث تكون.

غادة السيد أحمد

■■ سلمان زيمان إبن الحركة الوطنية في البحرين، والفنان الذي وظّف الفن من أجل القضايا الوطنية والإنسانية، وفلسطين كانت دائماً حاضرة في إنتاجه الفني، حتى الأغنية العاطفية كانت تحمل رسالة، غنى اللون اليماني وأُشتهر بين الجمهور وهو المغرم به، وأسس فرقة «أجراس» والتي قدّم من خلالها عدة أصوات فنية.

في الذكرى الأربعين لانتفاضة مارس (1965-2005) الخالدة، أقامت الجمعيات السياسية في البحرين حفلاً بمقر جمعية وعد بالمحرق، وكان أبو سلام مُشاركاً بحماس ويُقدم الأفكار للفقرات الفنية. أذكـر بعد عودته من الاغـتراب القسري مطلع التسعينات، أقامت فرقة (أجراس) حفلاً في إحدى الصالات، وكان الجمهور متحمساً لاستقبال «أبوسلام» بحرارة، مترجماً حجم الحب الذي يكنّه له ولفنه الملتزم بقضايا الناس.

مهدي مطر

■■ سلمان زيمان كان بسمة الأمل لكل من يقابله، وكل من يسمع صوته مع النغم، لقد فاجأنا بهجرته الخالدة إلى ملكوت الروح والسلام. إنه فخر الوطن بفنه الأصيل وإنسانيته الراقية.

محمد كمال

■■ «يا بو الفعايل يا ولد/ سلمان بن زيمان ودع هالبلد/ ودعت أهلك والوطن/ وأنت الفعايل تحملك/ فوق الكتف طول الزمن/ كنا معاك شلنا الالم فوق الالم».

الشاعرة فتحية عجلان

■■ لم أكن أريد أن أكون أول من يكتب.. أردت أن يهدأ الجو قليلاً حتى أتفرد في الكتابة عن الرجل الذي كان أول إنسان يدلني إلى طريق الحلم الذي كنت أبحث عنه.. ولا أعتقد أنه أثرّ على أحد بقدر ما أثر عليّ، وترك أثراً في نفسي وقلبي..

عازفة البيانو نور القاسم

من رام الله للبحرين شعب واحد لا شعبين

فلسطين في الأغنية البحرينية *

سلمان زيمان

تفاعلت الفنون في البحرين مع القضية الفلسطينية منذ النكبة. والأحداث المتتالية والمتعاقبة هناك، دائماً ما وجدت لها صدىً بين فناني البحرين ومثقفيها. وعبر ما أملكه، وما أملكه فقط من معلومات، فإن الفن الغنائي بدأ في التفاعل مع القضية الفلسطينية مع نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات.

وأعني بالتفاعل هو بدء اشتغال آلة الإبداع لدى فناني البحرين لتجسيد ذلك عبر إنتاج مجموعة من الأغاني تتضمنها البوماتهم الموجهة لعامة الجمهور أو خلال الحفلات والمهرجانات التضامنية. في سنة 1981 أنتجت أجراس ألبومها الأول بعنوان «أمنيات أطفال» تضمن بعض أغاني الأطفال وهي «السلحفاة» و«السمكة» و«النحلة» من نصوص الشاعر خيري عبد ربه وقام بتلحينها الفنان إبراهيم علي، إلى جانب أغاني «أعشق السلام» و«بالحب السامي» و«أنا طفل فلسطيني» و«قبلتني أمي» التي كتبتُ نصوصها الأربعة وتوزع تلحينها بين خليفة زيمان (الأغنية الأولى والأغنية الثانية) وعلي الديري (الأغنية الثالثة). وإبراهيم علي (الأغنية الأخيرة).

بعدها قدمت «أجراس» في ألبوماتها اللاحقة مجموعة من القصائد الجميلة وتعاون أعضاؤها في تقديم ألحان مبتكرة كانت فلسطين محورها الأساس. وإن لم تستطع أجراس إنتاج بعض من تلك الأغاني وتوفيرها لتكون في متناول الجمهور، إلا أنها قُدمت في المهرجانات الخاصة بأجراس أو في الاحتفالات التي أقامتها دعماً للقضية الفلسطينية منذ بدأ تأسيسها الرسمي في عام 1982 وقبل ذلك.

وهذا جدول للأغاني المعنية: أي ما مجموعه 23 عملا غنائيا لفرقة أجراس حتى عام 2009.

كما غني الفنان خالد الشيخ من ألحانه مجموعة من ست قصائد لفلسطين، خمس منها لمحمود درويش، هي: «غريب في مدينة بعيدة» (عندما كنت صغيراً)، و«أغنية حب على الصليب» (مدينة كل الجروح الصغيرة)، و«أبيات غزل»، و«رحلة الغجر»، و«موال» هذه بالاشتراك مع هدى عبد الله في الغناء. وقصيدة «زنابق لمزهرية فيروز» كذلك بالاشتراك مع الفنانة المغربية رجاء بالمليح في الغناء. مجموعة ألحان جميلة أبدع فيها الفنان خالد الشيخ وقدم من خلالها تجربة لحنية موسيقية متميزة.

ويقدم الفنان محمد حداد مساهمات مهمة في التلحين والتوزيع لبعض القصائد والأغاني. «من سماء إلى أختها» هي قصيدة لمحمود درويش قام حداد بتلحينها وتوزيعها لكورال مركز سلمان الثقافي للأطفال، كما لحن أغنية «أرض الأنبياء» لكاتبها محمد العرادي التي قدمت في أكثر من إحتفال ومهرجان داخل وخارج البحرين، بالإضافة إلى قيامه بتوزيع وتنفيذ أعمال في صالح التضامن مع فلسطين كأغنية «قمر نابلس» للمنشد علي التاجر، وفي مصاحبته على آلة العود بارتجالات لحنية مع الشاعر قاسم حداد في القائه لقصيدة «الشهيد» بنادي العروبة.

يبدع البحرينيون ويسخرون فنهم الغنائي في صالح الوقوف مع الحق الفلسطيني ولإظهار تضامنهم مع الفلسطينيين وحقهم المقدس في العودة إلى أرضهم. ويوجد لدينا في البحرين قائمة طويلة من الفنانين المؤمنين بدور الفن المسخر لخدمة القضية، وفاعليته في المساهمة في هذه المعركة لصالح الحق الفلسطيني العربي. فعمران جمال أنتج عملين غنائيين لصالح فلسطين عبر مؤسسته صوت وصدى، الأول من ألحان وليد جلال تحت اسم «صوت السلام» شارك في أدائه علي بحر، ووليد جلال، ويوسف محمد، ويوسف الشتي، وسلمان زيمان، وفاطمة وأشواق. أما العمل الثاني فكان تحت اسم «لدينا رسالة» من ألحان طارق الجار وغناء 15 فنانا بحرينيا وفنان واحد من قطر.

الملحن	عنوان الأغنية	الشاعر	الأداء الغنائي
عبد الوهاب تقي	قصيدة الأرض	محمود درويش	هدى عبد الله وأجراس
إبراهيم علي	إرادة الحياة	أبو القاسم الشابي	هدى عبد الله
علي الديري	أنا طفل فلسطيني	سلمان زيمان	سلمان زيمان
	حدثوني	محمود درويش	مريم زيمان وأجراس
	بابل	سميح القاسم	أجراس
محمد باقر	ليلى العدنية	سميح القاسم	سلمان زيمان
خليفة زيمان	الجسر	سميح القاسم	سلمان زيمان
	اعتذار	محمود درويش	سلوى زيمان
	غريبان	محمود درويش	هدى عبد الله
	صوت الجنة	سميح القاسم	سلمان زيمان
	تقدموا	سميح القاسم	أجراس
	المغني	توفيق زياد	فوزي الشاعر
	درة للقدس	سلمان زيمان	خليفة زيمان
	فتلوك في الوادي	محمود درويش	سلوى زيمان
جابر علي	لا تنامي	محمود درويش	هدى عبد الله
سلمان زيمان	القدس في عينين	راشد حسين	سلمان زيمان
	درب الحلوة	سميح القاسم	سلمان زيمان
	أم الجدائل	توفيق زياد	سلمان زيمان
	شجرة الزيتون	سهام عبطور شاهين	سلمان زيمان
	موسيقى عربية	محمود درويش	سلمان زيمان
	ذكريات	توفيق زياد	سلمان زيمان
	قبل أن جاؤا	توفيق زياد	أجراس
	جسر العودة	توفيق زياد	سلوى زيمان

كما لحن الفنان حسن حداد قصيدة «إنهم أشباح» للشاعر أحمد العجمي وقدمها ضمن البوم آلهة الحرب. وقام بتلحين عدة قصائد لمحمود درويش إلا أنها لم تنفذ حتى الآن. كما ساهم الفنان علي بحر وفرقة الأخوة بتقديم أكثر من عمل غنائي يتضامن مع القضية الفلسطينية نذكر منها أغنية بعنوان «فلسطين» ضمن ألبومهم «كلاسيك 1998». كذلك الفنان محمد جواد الذي لحن وقدم أغنية «الجدار» وأغنية «البرتقال الحزين» محاولاً الدخول بهما قطاع غزة المحاصر قبل أشهر لتجسيد التضامن البحريني على الأرض. وقد سبق للفنان يوسف الغانم أن لحن قصيدة سميح القاسم «زنابق لمزهرية فيروز» عام 1987 وغنتها الفنانة المعروفة نجمة في ألبومها الأول. كما لحن الفنان علي الرويعي أغنية «يرجع حقنا» من كلمات فواز الشفيري وتوزيع يوسف زمان وأداء ياسر ومحمد جناحي. هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الأناشيد التي تقدمها بعض فرق الإنشاد المهتمة بقضية التضامن مع فلسطين.

ألا ترون معي بأن حجم المشاركات والمساهمات الإبداعية للفن الغنائي البحريني لنصرة فلسطين هو ملفت بالمقارنة مع بلدان عربية أكبر بكثير مساحة وسكانا من البحرين؟. أترك الإجابة للمتخصصين.

* الجزء المتصل بالبحرين من دراسة مطولة للفقيد سلمان زيمان عن فلسطين في الأغنية العربية بعنوان: «فلسطين في أغانينا»، قدّمها في عام ٢٠٠٩.

بصراحة

الفقراء هم الضحايا

«الناس يولدون من بطون أمهاتهم أحراراً متساوين في الحقوق، ولكن عندما يخوضون معترك الحياة لا يعودون متساوين في الحقوق، فمنهم من تسلب حريته ومنهم من يعاني الفقر أو المرض أو الجوع ".

فكتور هوغو

فاضل الحليبي

«الشعب مصدر السلطات جميعاً»، مادة دستورية لكي تتحقق على الواقع الملموس يجب القيام بالعديد من الإجراءات والإصلاحات، أولها مجلس النواب بأن تتطور صلاحياته لكي يقوم بواجباته الرقابية والتشريعية بالشكل الصحيح، ولكي يتحقق هذا التعديل الدستوري ويصبح مجلس النواب ذا صلاحيات واسعة، لابد من إعادة النظر في تقسيم الدوائر الانتخابية الحالي، الذي سبق للقوى السياسية قبل أحداث فبراير / مارس 2011 في البلاد، أن تقدمت بالعديد من الرؤى والأفكار بشأن العملية الانتخابية من خلال تنظيم ورش عمل وندوات حول (الدائرة الواحدة/ الدوائر الانتخابية الخمس/ التمثيل النسبي).

من شأن ذلك أن يحقق العدالة في الاختيار بين المرشحين، ولكي يتمثل في مجلس النواب أكثر فئات وأطياف المجتمع وألا تكون هناك غلبة لطرف أو فئة على حساب أخرى، أو تُقصى كفاءات وطنية مشهود لها بالنزاهة والأمانة من الوصول إلى قبة البرلمان، لهذا يتعين وضع نظام انتخابي عادل يأخذ بعين الاعتبار كل المعطيات والآراء، ويبعد البلاد عن التجاذبات الحادة التي يمكن أن ينتج عنها تراجع كبير في مسار التحولات الديمقراطية في البلاد مثلما حدث بعد أحداث فبراير/ مارس 2011، حيث تعمقت الأزمة مابين مؤسسة الحكم والمعارضة.

وهذا يتطلب من جميع الأطراف المشاركة في العملية السياسية قراءة مغايرة للواقع السياسي الحالي لكي تستطيع السير بالبلاد إلى بر الأمان وتبحث عن إيجاد القواسم المشتركة، لتؤسِّس لبداية جديدة تساعد باتجاه فتح طريق نحو آفاق أرحب للحوار السياسي يهدف لتطوير العمل السياسي في البلاد من خلال العودة لمسار التحولات الديمقراطية التي بدأت مع مرحلة الانفراج السياسي في فبراير من عام 2001، بدلاً من أخذها نحو التشدد والانغلاق والغلو والتحول إلى الدولة الأمنية بديلاً عن الدولة المدنية المنشودة، والدفع بها إلى الامام بإرساء مقومات ذلك على الأصعدة السياسية والنقابية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

هذه الدولة المدنية المنشودة تقوم على مبادئ التسامح والتنوع والتعدد، وتحترم حقوق الإنسان، وتترسخ فيها أسس الديمقراطية بمضامينها السياسية والاجتماعية، وتسود فيها الحريات العامة وتنشط فيها الأحـزاب السياسية والنقابات العمالية ومنظمات وهيئات المجتمع المدني، وتتصدى للفساد والفاسدين وسارقي المال العام وتقدّم من يثبت عليه الجرم للعدالة والمساءلة القانونية، إعمالاً لما نصّ عليه الدستور في المادة «18» القائلة: (الناس سواسية في الكرامة الإنسانية، ويتساوي المواطنون لدى القانون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة).

بدأنا مقالنا بموضوع توسيع صلاحيات مجلس النواب في البحرين من أجل أن تكون السلطة التشريعية قوية وقادرة على التصدي للقضايا المخالفة للدستور أو التي تتعارض مع مواده، ولكي لا يكون هناك عذراً لأعضاء مجلس النواب بأن ليس لديهم صلاحيات تجبر السلطة التنفيذية على التراجع والالتزام بمواد الدستور .

منذ الثالث عشر من يوليو الماضي 2020، بالرغم من جائحة كورونا وآثارها السلبية على جميع مناحي الحياة وبالأخص منها الاقتصادية والمالية والمعيشية، ومعاناة الناس اليومية من جراء ذلك، كان حديث المواطنين في البيوت والعمل وعلى وسائل التواصل الاجتماعي وأينما وجدوا عن التأمينات الاجتماعية والقرارات الجديدة التي شعروا بأنها تمسّ حاضرهم وتعرض مستقبلهم للخطر في ظل ما آلت إليه أوضاع التأمينات الاجتماعية التي تسوء من سيِّئ إلى أسوأ، وكأن لسان حالهم يقول "اِرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".

منذ سنوات يدور الحديث عن العجز الإكتواري في التأمينات الاجتماعية، وبالتأكيد تتعدد الأسباب، لكن لا يتحمل المسؤولية المواطنون من المشاركين والمتقاعدين، الفقراء ومتوسطي الدخل، فهم غير مسؤولين عن ذلك، والمسؤولية إنما تقع على الحكومة وأعضاء مجلس الإدارة الذين لم يوفقوا في المحافظة على أموال المواطنين وتطوير الاستثمار، ويتداول بأنه قد تم إيداع مبلغ كبير في البنوك الوطنية يقدر بملياري دينار بحريني، وفي بنك واحد فقط أودع حوالي 800 مليون دينار بحريني منذ سنوات، وهكذا نجد أن المستفيد من اموال التقاعد البنوك والمساهمين فيها، ولا يعرف مقدار الفوائد ما إذا كان 3٪ أو 4٪، وأن كانت لا تشكل شيئاً مقارنة بالمبالغ الكبيرة المودعة.

وتمَّ دفع قرض لأحد البنوك في البحرين بمبلغ قدره 100 مليون دينار وتعرض لخسائر في مشروعه العقاري ولم يرجع المبلغ، فهل، يا ترى، سوف يُسجل ديناً معدوماً مثلما حدث مع بنوك وطنية أخرى، فالشفافية غائبة، ويكلف استئجار مبنى جديد للتأمينات الاجتماعية إيجاراً سنوياً بملايين الدنانير، فيما لا تجري الاستفادة من المبنى القديم.

وفي السنوات الماضية تمَّ توزيع مكأفآت مالية بآلاف الدنانير على أعضاء مجلس الإدارة، كما تمَّ ترتيب وضعهم التقاعدي من أموال المتقاعدين والمشاركين في التأمينات الاجتماعية، يعني بكلمات سوء إدارة وفساد ينخر في جسد التأمينات الاجتماعية ولا توجد شفافية أو مكاشفة لمعرفة كم يوجد من أموال لدى الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، هل هي 2 مليار دينار مثلما صرح رئيس مجلس الإدارة للصحافة المحلية في 15 يوليو الماضي؟

التساؤل هنا لماذا لم يقدم مجلس الإدارة استقالته بعد هذا الإخفاق والفشل في الإدارة والتصرف وعدم المحافظة على أموال المشاركين والمتقاعدين في التأمينات الاجتماعية ، بدلاً من أن تُصدر القرارات والتعديلات وتوافق عليها الحكومة دون طرحها على مجلس النواب، والتضييق على المواطنين وبالأخص ذوي الدخل المحدود الذين يستلمون رواتب تقاعدية بالكاد تغطي بعض المصاريف المالية والعديد منهم يكدحون ويعملون في وظائف إضافية بالرغم من التقاعد من سنوات ولكن بسبب الأعباء المعشية الصعبة في ظل ارتفاع الأسعار ليس سنوياً فقط، بعض الاحيان شهرياً وبالأخص في المواد الغذائية، لهذا يضطرُّ المتقاعدون للعمل من أجل لقمة العيش.

لا للمساس بحقوق المتقاعدين

في نفس اليوم الذى اطلقت فيه اللجنة الوطنية للمتقاعدين بالاتحاد العام لعمال البحرين حملة تغريدات على تويتر تحت العنوان المذكور، وهى الحملة التى عبرت عن أحد أوجه التوجس، والقلق فى أوساط المتقاعدين، والرفض لأي مساس بحقوقهم والامتيازات التى اكتسبوها طيلة سنوات طويلة، فى نفس اليوم تقرّ التعديلات ويصدر بها مرسوم يجعل هذه التعديلات أمراً واقعاً، ويظهر بعض المسؤولين فى نفس اليوم طبعاً ليبعثوا برسالة فهم الناس معناها "دوام الحال من المحال"!.

خليل يوسف

المتقاعدون لم يكونوا بحاجة إلى مزيد من المخاوف على أوضاعهم، وجعل بواعث القلق على مستقبلهم تسرح وتمرح دون ضوابط، هؤلاء الذين تعرضوا إلى ما يغرق واقعهم بالعتمة، وكأن هناك من يريد ان يقذف بهم إلى ظروف أسوأ، وينسف آمالهم واحلامهم، فى الوقت الذى كانوا يتطلعون إلى ما يحقق لهم أسباب الراحة والطمأنينة، ويجنبهم القنوط واليأس، ويمنع عنهم السيناريوهات والسياسات المريرة، والحديث هنا تحديداً عن أصحاب الرواتب التقاعدية المتدنية، وهم الغالبية العظمى!انطلاقاً من ذلك نقول، إذا كان الذين انهمكوا بغزل "الاصلاحات" التى رفعت للحكومة بصفة

عاجلة، وكأن العجلة والتعجيل لا يتم إلا فى العطلة البرلمانية، فعلوها فى شهر يونيو 2018، وها هم يفعلونها مجدداً بكل "محبة" فى العطلة البرلمانية الحالية، وكأن هذه العطل تزيد من شهيتهم لطرح وتمرير ما يشغل بال المواطنين ويربكهم ويقلقهم، خاصة فى هذا الزمن الكوروني، والمدهش، والمحزن، انه فى الوقت الذى يجتمع فيه ممثلون عن الحكومة والسلطة التشريعية للنظر فى تعديلات التقاعد الطارئة وما يمس حقوق وامتيازات للمتقاعدين، يصدر مرسوم يقضي بإقرار هذه التعديلات أو "الإصلاحات"، فى الوقت الذى توالت تصريحات لرئيسي مجلسي النواب والشورى وبعض المسؤولين تصب باتجاه التاكيد بأن إنقاذ الصناديق التقاعدية والتأمينية لايحتمل التأخير لتمكينها من الاستمرار ومواجهة التحديات، وأنه من دون إقرار الإصلاحات العشرة التى تقدمت بها الهيئة العامة للتأمين الاجتماعى، سيكون الوضع مأساوياً وقد يؤدى الى المحتوم، وهو إفلاس التأمينات!

لم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل فى سياق التهيئة ل "الاصلاحات" كشفت الرئيس التنفيذى للهيئة فى ندوة سريعة دعا لها مركز دراسات، حول مستقبل الصناديق التقاعدية ما اعتبرته احدى الصحف المحلية بالحقائق المفزعة عن وضع صناديق التقاعد والتى تتطلب اصلاحات جذرية، ويبدو أنه على الناس ان يستقبلوا المزيد من المفاجآت كون أن هناك أربع اصلاحات طارئة، من جملة اصلاحات عشرة لابد منها لتمكين الصناديق التقاعدية للإيفاء بالتزامات الهيئة تجاه 95 ألف مواطن، وهذا فى حد ذاته مبعث حيرة وقلق وتساؤلات واستنتاجات ثقيلة العيار، أبسطها يعنى أنه على المتقاعدين أن ينتظروا المزيد من "المفاجعات"!

وإذا كان لابد من التوقف إلى ما شكّل هبّة شعبية رافضة لأي مساس بحقوق وامتيازات المتقاعدين، عبر بيانات صدرت عن جمعيات سياسية واتحادات وتجمعات نقابية وندوات عبر الفضاء الاليكتروني،

«إن أي اصلاحات لصناديق التقاعد تتطلب من السياسيين التفكير فى حقوق الأجيال القادمة، وليس فى الانتخابات القادمة»

وكل ما أثير فى مجمله لايحتاج إلى شرح يطول، بل يمكن اختزاله تحت عنوان "رفض شعبى عارم للتعديلات"، فإنه لا بد أيضاً من التوقف حول مغزى دعوة كل من رئيسي مجلسي النواب والشورى خلل الاجتماع المشترك الذى عقد بين ممثلي الحكومة والسلطة التشريعية، إلى تضافر الجهود الوطنية فى هذه المرحلة من أجل الوصول إلى الغايات المرجوة" وهى الدعوة المقرونة بالتأكيد على الحاجة الماسة لتضافر هذه الجهود، ايضاً يمكن التوقف والاشارة الى تأكيد ممثلي الحكومة فى الاجتماع المذكور على أن الباب مفتوح للاستماع لمرئيات السلطة التشريعية يمكن ان تسهم فى ايجاد حلول لعجز صناديق التقاعد والنظر فى الحلول المطروحة.

نستعيد تلك الوقفات ونذْكر بها، فقط لان ما جرى لم يترجم منه شيئاً على أرض الواقع الملموس، وما اتخذ من خطوات شكّل خيبة أمل المتقاعدين وهزّ وجدانهم، وعظّم من هذه الخيبة النواب الذين أغدقوا على الناس الوعود بموقف ثابت ضد كل ما يمس حقوق وامتيازات المتقاعدين، بل المفارقة – تعودنا على مفارقات كثير من النواب – تغيّر

موقف بعض النواب، والصمت المطبق من قبل آخرين، وكأنهم دخلوا فى سبات عميق، فيما موقف عدد قليل من النواب، وفى المقدمة منهم نواب كتلة "تقدّم" التى تقدمت بمرئيات معلنة أكدّت فيها بأن اصلاح أوضاع الصناديق التقاعدية بات ضرورة ملحة، لكن ذلك لا يجب أن يتم عبر التهديد بالانتقاص المستمر بمكاسب آلاف المشتركين والمتقاعدين، إنما عبر تطوير آليات عمل الهيئة واصلاح أوضاعها وأنظمتها عبر قرارات مهنية جريئة، بعيداً عن التخبط الإدارى والمالى المستمر.

تظل التساؤلات مثارة، حول نتائج اعمال لجنتي التحقيق البرلمانيتين، وحول عمل وإدارة وشفافية أعمال الهيئة وما تحتاجه من خطوات تصحيحية واصلاحية، وحول العجز الاكتواري، والمسببات الحقيقية لهذا العجز، ومدّ عمر الصناديق التقاعدية، ومدى حسن وكفاءة إدارة استثمارات الهيئة، وعوائدها وسبل تعظيمها، وحدود صلاحيات مجلس ادارة الهيئة، وتساؤلات حقيقية حول كل اللغط الذى يثار منذ سنوات حول تجاوزات ادارية وفساد وهدر مالي فى بعض مسارات عمل الهيئة وادارة استثماراتها، ومنها ما هو وارد فى تقارير ديوان الرقابة المالية والادارية، لسنا هنا فى وارد اجترار ما طرح وأثير حول كل ذلك، فهو كثير ومتعدد الأوجه، كما لسنا بصدد معاودة جرد التساؤلات المملة التى تنتظر أجوبة شافية، ممّلة هى من كثرة طرحها وتداولها، على مدى سنوات دون جدوى، وهذا برأينا إن دلّ على شئ فانما يدل عن عجز فى وضح النهار، ولا نريد ان نطلق عليه وصفاً آخر!

مفارقة لافتة تجلت فى ما قاله عضو بمجلس أمناء مركز دراسات فى الندوة المشار إليها، الذي أوضح:

«إن أي اصلاحات لصناديق التقاعد تتطلب من السياسيين التفكير فى حقوق الأجيال القادمة، وليس فى الانتخابات القادمة".. والسؤال بعيداً عن المراوغة، هل الأمر هو حقاً كذلك ..؟!!، مفارقة أخرى لافتة، ان التعديلات أو الاصلاحات انصبت بالمجمل على المتقاعدين، ولم يأت من قبل أي مسؤول معني، أي ذكر لإصلاحات فى ادارة الهيئة، ولا أي اشارة حول مدى حسن ادارة استثمارات الشركات التابعة لها، وحجم العوائد التى تحققها، وهى من بين الأمور التى أخذت حيزاً من اللغط المثار، سابقاً وحالياً ..!

وإذا كنا على يقين بأن مواقف بعض النواب، بل كثير من النواب، ليس حيال ملف التأمين الاجتماعي فحسب بل حيال ملفات كثيرة، مواقف متبدلة، متحولة، ومراوغة، من الصعب الركون اليها، فانه لا يبقى أمامنا إلا تبنى دعوة الجمعيات السياسية فى بيانها المشترك والرافض المساس بحقوق المتقاعدين، مع دعوتها لحوار جدي واسع حول أوضاع هيئة التأمين الاجتماعي، بمشاركة أطراف الانتاج الثلاثة، فمثل هذا الحوار يمكن أن يكون خطوة تحقق تضافر الجهود الوطنية التى دعا لها رئيسا مجلسي النواب والشورى، لإصلاح منظومة التقاعد والتأمين الاجتماعى، وتلك الدعوة والحوار يمكن ان يصبان فى خدمة مشروع المنتدى الوطنى الموسع والشامل، الاقتصادى والاجتماعى، الذى دعا اليه نائب رئيس مجلس النواب عضو كتلة تقدّم عبدالنبي سلمان بهدف وضع الخطط والاستراتيجيات والبرامج والتوجهات لصياغة معالم المرحلة المقبلة بالنسبة لعدد من الملفات الكبرى، وملف التأمين الاجتماعى فى الصدارة، ياترى، هل يمكن ان يتحقق ذلك بشكل جدي، لا بشكل يغلب عليه الطابع الكاريكاتوري، أي الطابع الذى يزدري ذكاء المواطن، وتتسم مخرجاته بالقحط والإحباط، وما أكثر هذه وتلك ..!!

قراءة في واقع الحركة النقابية البحرينية – ٣

جواد المرخي

في إطارالمتابعة للوضع النقابي نود أن نشير الى البيان الصادر من قبل اربعة عشر نقابة الصادر بتاريخ 13 يونيو 2020، وهي نقابات بعضها مستقيل من الاتحاد الحر، وأخرى جديدة، وثالثة هي نقابات في اختلاف دائم مع توجهات الاتحاد العام.

ركز بيان الجمعيات الأربعة عشر على مطالب قديمة – جديدة في وضعنا الراهن، بينها ضرورة تفعيل العمل النقابي الجاد في الدفاع عن مصالح العمال مركزا على ضرورة توفير فرص العمل والوظيفة للمواطنين العاطلين عن العمل، محذراً من خطورة تنامي حجم البطالة في البحرين خصوصا في ظل قانون العمل الذي لا يدفع في مسألة البحرنة مع تطبيق سياسة اغراق البحرين بالعمالة الوافدة.

كما أكدّ البيان على ضرورة الوقوف والتضامن مع سائر العمال الذين تضرروا وفقدوا أعمالهم جراء انتشار وباء كورونا، حاثاً الدولة على الاستمرارية في الدعم المالي للمتضررين من الوضع الحالي للجائحة، ومشيراً إلى ضرورة اتخاذ موافق وطنية من قبل الشركات والمؤوسسات في القطاع الخاص بعدم الاقدام على تسريح العمالة الوطنية بذرائح ظروف كورونا.

في البيان أيضاً مطالبة بإحلال البحرينيين الباحثين عن العمل محل العمالة الوافدة في وزارات ومؤسسات الدولة والشركات الكبرى مع تسليم البحرينيين المهام القيادية فيها بدلا من الوافديين. فضلاً عن مطالب لا تقل اهمية لصالح سير العمل النقابي.

كما نتمنى أن تقف هذه النقابات المستقلة دوما في الدفاع عن مبدأ التعددية النقابية والوقوف في وجه المحاولات للمساس بكل المكتسبات خصوصا في حرية العمل النقابي وتشكيل الاتحادات النقابية من اجل الابتعاد عن دكتاتورية العمل النقابي وان لا يكون محتكرا لتوجهات معينة ولاعتبارات تتصل بالمصلحة الشخصية.

بات من الضروري في هذه المرحلة التركيز على حماية المتقاعدين والتصدي لمجموعات الفساد المالي والاداري في هيئة الضمان الاجتماعي والابتعاد عن تحمل المتقاعدين كل الخسائر التي تتعرض لها هيئة التأمينات الاجتماعية وعدم المساس بحقوق المتقاعدين المكتسبة و منها الزيادة السنوية البالغة 3٪، وصون الحقوق المكتسبة للمتقاعدين.

ومن الأهمية بمكان الدفع في اصدار تشريعات للمحاسبة المالية في وسط الاتحادات النقابية لمعرفة أين تصرف هذه الاموال وبشفافية، والتقليل من الخلافات الشخصية وتغليب المصلحة العامة من أجل العمل النقابي الجاد والمثمر والنوعي، مع التركيز على الاستقلالية في اتخاذ القرار المناسب والابتعاد عن صنوف التبعية لاي جهة كانت.

كما بات من المهم حماية النقابات من التآكل وهذا يحتاج لدور نشط ووعي نقابي حقيقي، مع تطوير الأنشطة الإعلامية والعمل الميداني في صفوف العمال لكسب ثقتهم. وهذا لا يمكن أن يتحقق الا مع الابتعاد عن روح الاتكالية والإنهزامية وهذه صفات لشخصيات نقابية حذرت منها الأدبيات النقابية دوما لخطورتها والتي لا تقل عن خطورة الإنتهازية في وسط الحركة النقابية والعمالية.

ما هو جيد للعدالة الاجتماعية جيد للاقتصاد والدولة

إذا كانت أهم مؤشرات الاقتصاد العالمي تشير بوضوح منذ العام ٢٠١٧ إلى أنه متجه نحو أزمة عامة من طراز جديد هذه المرة، وأن موعد انفجارها العظيم لا يتعدى نهاية العام الحالي ٢٠٢٠، أو بداية العام القادم، فإن جائحة كوفيد – ١٩، جاءت إضافة ثقيلة لتُعجّل أوان الإنفجار. ولنستعد نحن، فستكون التبعات وخيمة على الاقتصاد العالمي:

عبد الجليل النعيمي

مالا وإنتاجا واستهلاكا، والمجتمعات: تشغيلا ومعيشة واستقرارا، وعلى البلدان: ديونا وأمنا وسيادة، وعلى العلاقات الدولية: انتهاكا للقانون الدولي، وبروزا للتكتلات الإقليمية، وتحضيرات لإعادة اقتسام العالم. بالنسبة لبلداننا فقد رمانا السقوط «الحر» لأسعار النفط بثالثة الأثافي ليجعل مصائبنا أضعافا. أضف إلى ذلك: بُنانا الاقتصادية هشة، أوضاعنا الإقليمية شديدة التوتر وخللنا السكاني خطر للغاية وقنوات الاستنزاف المالي تعمل ليل نهار. وحفرتنا عميقة، بلا قرار.

الدول الكبرى مشغولة بحالها، وببعضها، أكثر مما تستطيع التعامل مع مشاكل البلدان الضعيفة، إقليمنا المحيط راكم من المشاكل ما يقلص إمكانيات مدّ يد العون للبلدان الأقل قدرة. وعلى بلادنا أن تواجه مشاكلها منفردة. لكن، رب ضارة نافعة. فالأجدى دائما أن تبدأ الحلول من داخلك، بإمكانياتك المادية، بطاقاتك البشرية الإبداعية. أستطيع القول جزما إن بلادنا الآن في قبضة هذه القاعدة السليمة، بحكم الواقع، وليس الخيار الواعي. لكن ماذا بعد ؟

كلمة السر للحل هي الإصلاح الجذري وليس أي «إصلاح». الحركة نحو الإصلاح الحقيقي لا تقاس بسرعتها فحسب، بل وباتجاهها المصوب للهدف الصح. أي، بأية أبعاد يتحرك هذا الإصلاح، الإنسان أم الاقتصاد أولا ؟

تجربة الصين مع جائحة كوفيد – 19 قريبة وتبعث على الفخر. رفعت شعار «الإنسان قبل الاقتصاد». بل وسخّرت المال والاقتصاد وكل القاعدة التقنية – التكنولوجية لمزيد من النهوض بالقطاع الصحي وسرعة تعافي الإنسان. لم يتعذر على أحد الوصول إلى العلاج النوعي. لم يمت أحد جوعا أو على قارعة الطريق بلا سكن. هذا البعد كان مُودَعاً في طبيعة النظام الاقتصادي الاجتماعي أصلا. وكسبت الصين المعركة: استعاد الإنسان عافيته، والآن يعيد الإنسان للاقتصاد حيويته. وتستعيد الدولة قدراتها وجبروتها. تماماً بعكس الحال في أميركا، العاجزة عن التصدي للوباء بالكفاءة اللازمة والتعامل المتساوي مع المواطنين. انفجر مُرَكَّب هذه المشاكل وغيرها في وجه النظام حراكا اجتماعيا – سياسيا لم تشهد له أميركا مثيلا منذ الحرب الأهلية.

نعود إلى واقعنا. لم يرتق الأداء في مواجهة الجائحة إلى الجودة التي بلغتها الصين، لكن نظامنا الصحي لم يواجه تهديد الإنهيار كما في بعض الدول «المتقدمة». والواقعية تقتضي الاعتراف بأن الفضل في ذلك يعود لبقايا مزايا دولة الرعاية الشاملة، التي، على كل نواقصها، نوَدِّعها الآن بحسرة، مرتمين في قبضة الأسوأ – الليبرالية الجديدة، الثقيلة الوطئ على الناس، وأناس العمل خاصة.

النيولبرالية طرحت علينا «الإصلاح الإقتصادي» من منظور التوازن المالي لميزانية الدولة، أي من منظور محاسبي بحت، دون إعطاء الاعتبار اللازم للعدالة الاجتماعية. وبدون الخوض في التفاصيل يرى الجميع أن الخصخصة وتقليص النفقات على الخدمات الضرورية وتعدد أشكال الضرائب غير المباشرة أنهكت الغالبية الساحقة من المواطنين والشركات الصغيرة والمتوسطة. هذا قبل الجائحة التي زادت الوضع سوءا على سوء. الآن، ضعفت قدرات المواطن الشرائية وقدرته على تلبية الكثير من حاجاته الضرورية، فقَلَّ الطلب وبالتالي ضاقت السوق. وضعفت قدرة الشركات على التوظيف وعلى الوفاء بالالتزامات الضريبية وأصبح الآلاف منها يستعد لإشهار الإفلاس. طبعا موجة الإفلاسات ستعم العالم. وتشير دراسة قريبة لشركة التأمين «يولر إرميس» أن زيادة عدد الشركات التي ستعلن إفلاسها عالميا 35٪ بين عامي 2019 و2021. أعلاها في أميركا 57٪ وأدناها في الصين 20٪ فقط (وهنا أيضا تستعرض الصين أفضلية). أما لدينا فنحن لحدّ الآن لا نعرف الأرقام والنسب التي تعتمل في الاقتصاد والمجتمع قبل أن يتصاعد دخانها يوما.

الذي نعرفه جيدا هو نتيجة «الإصلاحات» على وجه العموم: خسر الإنسان وخسر الاقتصاد ولم تُنمِّ الدولة مواردها، إذ لم تكن هذه هي الوجهة الصحيحة المطلوبة للإصلاح. نعم، هذا هو «الإصلاح» المطلوب من وجهة نظر صندوق النقد والبنك الدوليين، بهدف مزيد من تمركز الثروات لدى الأوساط الاجتماعية الدائرة في فلك رأس المال المالي العالمي. وهاهي دراسة لشركة بوسطن كونسلتينج جروب تشير إلى أن أصحاب الملايين استحوذوا في عام 2019 على حوالي 68.8٪ من الثروة في البحرين، وأن عدد هؤلاء سيزداد بنسبة 1.1٪ في الأعوام القادمة («الأيام»، 21 يوليو). لكن مثل هذه الإصلاحات، التي تسبب مزيدا من إفقار الفقراء، تشكل صدمة مفاجئة وقوية للطبيعة التي بني على أساسها النظام الاقتصادي الاجتماعي لدينا على مدى عقود. وكان لمقاربة أخرى للإصلاح من منظور مصلحة المجتمع ككل أن تعني إصلاحا حقيقيا يخدم الإنسان والاقتصاد وقدرات الدولة. وهذا موضوع بحث مستقل.

ذات السؤال بالنسبة لموضوع اللحظة – إصلاح نظام التقاعد والتأمينات الاجتماعية. كان واضحا منذ زمن حجم المشكلة وخطورتها وأهمية إصلاحها. لكن من جديد أي إصلاح ؟ في أي اتجاه ؟ نخشى أنه إن سار كما يُعَدُّ له الآن، من جنس التوازن المالي، فحتما ستكون النتيجة من نفس الجنس أيضا. مزيدا من إفقار المتقاعد الفقير، مزيدا من تقليص المساهمات التقاعدية للمؤسسات

الاقتصادية. ومزيدا من سوء استثمار أصول التقاعد ومزيدا من سوء توزيع الدخل بين المتقاعدين. ولنبدأ بالأخيرة. الحد الأقصى المقر (4000 دينار) يفوق الحد الأدنى (350 دينار) بأكثر من 11 ضعفا !!! وهو فوق حاجة أي متقاعد لم يعد مهموما بتكوين عائلة أو بناء سكن أو تربية أو تعليم أبناء. فما بالك بالمعاشات التقاعدية الفاحشة التي لا تزال تتجاوز الحد الأقصى بأضعاف. كل ما يعنيه هذا هو خرق فاضح لمبدأ العدالة الاجتماعية ونسف للفكرة التكافلية للنظام التقاعدي. إن هناك حاجة ماسة لإعمال العدالة في التوزيع بخفض الحد الأقصى للمعاش التقاعدي، والعمل به فورا، بما في ذلك تطبيقه على قدامى المستفيدين.

ليس بكاءً على اللبن المسكوب، إنما من أجل المستقبل نذكر أن في عام 1986 وبضغط من غرفة التجارة والصناعة تم خفض نسبة المساهمات التقاعدية من 21٪ (14٪ أصحاب العمل + 7٪ العامل) إلى 15٪ (10٪ + 5٪). وكان هذا القرار بمثابة انحياز طبقي لمصالح الطبقة المسيطرة اقتصاديا. وبعد قرابة عقدين من سنوات تطبيق هذا الانحياز أحست الدولة بمدى إجهاد هذا الإجراء للنظام التقاعدي فذهبت بحجم المساهمات في عام 2007 إلى «حل» وسط 18٪ (12٪ + 6٪). خسر النظام التقاعدي بنتيجة هذه «الإصلاحات» ما قُدِّر بحدود 7 – 8 مليار دينار (+ عوائد استثمارها المفترضة). هذه «الإصلاحات» ليست خرقا لمبدأ العدالة الاجتماعية فحسب، بل وللنموذج المصمم أصلا لتمويل الصندوق. لو لم يكن هذا «الإصلاح» لاستطاعت هذه الأموال أن تلعب دورا أكبر بكثير من صندوق التعطل لمواجهة تبعات الجائحة الآن. إذن، فحال الصندوق والعدالة الاجتماعية تقتضيان العودة إلى النظام الأصل للإشتراكات التقاعدية.

قس على ذلك حجم الخسارة التي ألحقها «إصلاح» عام 1977 بوقف التأمين الاجتماعي على العمالة الأجنبية. أيضا لن تصعب معرفة لمصلحة من هذا «الإصلاح». قيل حينها أنه إجراء مؤقت، ليقترح النائب محمد عيسى ورفاقه الآن، بعد أكثر من أربعين عاما، إلغاء هذا «المؤقت»، وإعادة الأمور إلى نصابها. والحقيقة أن الخبير الأكتواري قد أوصى عام 2017 بإعادة هذه الاشتراكات، على أن يتم الشروع في ذلك بعد عودته من السفر. ترى هل ذهب الخبير ولم يعد؟! توجد مصلحة وطنية ملحة بإعادة العمل بإدراج الأجانب الذين يزيد عددهم على 600 ألف في نظام التأمين الاجتماعي. وعلى نواب الشعب أن يمضوا في هذا بإصرار.

وماذا عن إلغاء «الزيادة» السنوية بنسبة 3٪ ؟ هي في الحقيقة ليست زيادة، ولا مكافأة كما قيل، بل تعويض عن التضخم وللحفاظ على مستوى القوة الشرائية للمعاش التقاعدي كي لا تبتعد قيمته الفعلية عن قيمته الإسمية مع الزمن. هذا كل ما في الأمر. هنا يكفي أن نورد فقرة من تقرير للبنك الدولي في ابريل 2019 تقول عن البحرين: « ... ومن المتوقع أن يرتفع معدل التضخم إلى 3٪ في 2019–2020، بالنظر إلى فرض ضريبة القيمة المضافة في عام 2019 والزيادات الإضافية المقترحة في أسعار الطاقة». أرأيتم ؟ هذا هو مغزى نسبة زيادة 3٪، لكن التضخم قد يزيد عن هذا الحد أو ربما زاد !!

الحديث يطول عن سوء استثمار أموال نظام التقاعد والفرص الضائعة. أنشِأ النظام التقاعدي عام 1976 . لكن قانون إنشائه هو الإبن الشرعي للبرلمان الذي حُل عام 1975. تصادف ذلك مع أثر طفرة أسعار النفط الكبرى وتَشَكُّل «الفوائض» المالية. وعلى خلفية ذلك انصرف التفكير التنموي في البلاد من الاستثمار في مجالات الإنتاج إلى عالم المال والعقار. وأُخذت أموال التقاعد إلى هذا المنحى أيضا. وبالنتيجة صار النظام التقاعدي باستثناءاته المالية الضخمة من أكبر ضحايا الأزمة المالية العالمية والمحلية. وبدون الخوض في تفاصيل أكثر نؤكد الآن على ضرورة أن يعاد النظر بشكل جذري في فلسفة السياسة الاستثمارية لأموال التقاعد باعتبارها مصدرا حيويا من مصادر التمويل الداخلي للاستثمارات الإنتاجية التي تولِّد أماكن عمل حقيقية تقوي الاقتصاد وتشكل بدورها إسهاما إضافيا كبيرا في الاشتراكات التقاعدية.

أخيرا، وليس آخرا. الخشية كل الخشية أن تُحدِث الحلول الترقيعية وغير الجذرية سباقا حثيثا في الخطين البيانيين النزولنيين لموارد الأموال التقاعدية وللدخول والمزايا التي يحصل عليها المتقاعدون. نزولا .. وصولا إلى الترويج لقناعة ألا فائدة من نظام التقاعد بمظلة الدولة، وأن الحل في الخصخصة العتيدة. هذا بالضبط ما حدث في تشيلي عام 1981 بإيحاء من مدرسة «فتية شيكاغو» الاقتصادية و»اتفاق واشنطن» ووصايا صندوق النقد والبنك الدوليين. وبعد أن سلكت تشيلي ومعها بضع عشرات من الدول درب الآلام العسير هذا، وما أدى إليه من فقد للعدالة الاجتماعية وتدهور شديد للاقتصاد، وبالتالي احتجاجات اجتماعية – سياسية هزت أوضاعها، عاد معظم هذه البلدان بعد أزمة 2008 – 2009 المالية الاقتصادية إلى إبطال خصخصة النظم التقاعدية وتأميمها من جديد. وعليه فليس من المصلحة الوطنية، خصوصا في ظروف الليبرالية الجديدة، خصخصة النظام التقاعدي ووضع المتقاعدين تحت رحمة رأس المال الكبير.

القاعدة البسيطة، والدرس الكبير في نفس الوقت، هي أنه، وخصوصا في ظروف انهيار الطبقة «الوسطى» سيبقى المواطن البسيط، عامل أو متقاعد، في مجموعه الإحصائي هو المستهلك الأساسي في الاقتصاد. إن زاد دخله اتسعت السوق المحلية وتحرك الاقتصاد، وإن قلَّ دخله ضاقت السوق وتراجع الاقتصاد. فهلا وعينا أن ما هو جيد للعدالة الاجتماعية جيد للاقتصاد وللدولة ؟

تحطيم التماثيل والتاريخ الموازي

إذا كانت جائحة كورونا «كوفيد – 19» قد جاءت لتعري بامتياز أخلاق الدول الرأسمالية الكبرى اللاإنسانية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، ولتكشف عجزها حتى عن التعاون فيما بينها، سواء على مستوى حلف الأطلنطي أو على مستوى الأتحاد الأوروبي لمواجهة الوباء، فإن الاحتجاجات على مقتل المواطن الأميركي من أصل أفريقي، جورج فلويد، في مايو/ ايار الماضي تحت ركبة الشرطي الأبيض اختناقا طوال ما يقرب من عشر دقائق أمام الملأ.

رضي السمّاك

هذه الاحتجاجات التي عمّت العالم ضدالممارسات العنصرية في الولايات المتحدة وفي الدول الرأسمالية الاخرى – كبريطانيا وفرنسا واستراليا – قد جاءت لتعري بدورها حقيقة التاريخ المسكوت عنه المزيّف والذي ما فتئت هذه الدول تعتبره مقدساً لا يجوز مسه ولا مس رموزه التاريخية المخلدة بتماثيل تم نصبها في أشهر شوارع عواصمها ومدنها.

وفي كل بلد من تلك البلدان الرأسمالية قامت ثلة واعية من المحتجين السلميين بالتعبير عن احتجاجها بتحطيم تلك التماثيل بغية تذكير شعوبها وشعوب العالم بأن ثمة تاريخاً آخر موازياً يُراد طمسه وتشويه وعي الشعوب بالتاريخ التي تحاول الأنظمة الرأسمالية فرضه. ولعل من أهم التماثيل التي جرى تحطيمها وارتبطت بالعبودية أو الاسترقاق الاستعماري تلك التي جرت في الولايات المتحدة، ومنها: تمثال الرحالة الإيطالي كريستوفر كولمبوس في مدينة فرجينيا الأميركية في العاشر من يونيو/ حزيران الماضي، ثم مرة اخرى جرى تحطيم تمثال آخر له في مدينة بالتيمور في الرابع من يوليو / تموز الماضي أثناء احتفالات « الاستقلال ».

ونعلم بأن هذا الرحّالة وُصف بأنه «مُكتشف» ذلك العالم الجديد الذي وصلت سفينته إلى سواحله إثر تيهه في المحيط الأطلسي ضالاً الوصول إلى الهند على طريق رأس الرجاء الصالح؛ وما كانت حقيقة هذا «الاكتشاف» المزعوم سوى فتح لتاريخ مظلم جديد من العنصرية في ذلك العالم ليس ضد السود فقط ، كما جرى لاحقاً؛ بل بدءاً بسكان ماسُمي ب «العالم الجديد» الذين أُطلق عليهم «الهنود الحُمر».

وكما يقول الباحث البلغاري تزفيان تودروف : إن كلمة « اكتشاف « تتضمن عنصرية وتمحوراً غربياً ومركزية غربية. فالمكتشِف (بكسر الشين) أوروبي والمكتشَف (بفتح الشين) القارة التي كانت حينذاك مجهولة بالنسبة لاوروبا والعالم القديم. لكن هذا «الإكتشاف» لا يعني شيئاً لسكان القارة الأصليين من ذوي الحضارة العريقة من أمثال الأزتيك والإنكا والمايا وغيرهم، والذين تمت إبادة مالايقل عن 112 مليوناً منهم عن بكرة أبيهم على أيدي الرجال البيض الأُوربيين الذي دشن لهم كولمبوس طريق الهجرة والاستيطان الجديد، ولم يتبق اليوم منهم سوى أقليات معزولة داخل الولايات المتحدة المتحدة نفسها؛ أو متوزعة في بلدان أميركا اللاتينية (إنظر: تودو روف، فتح أمريكا، مسألة الآخر، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة ، 1991).

كما جرى تحطيم تمثال البرت بايك، وهو التمثال الوحيد في واشنطن العاصمة، لاتهام صاحبه بأنه من مؤسسي منظمة «كوكلاكس كلان» العنصرية. وفي بريطانيا تم تحطيم تاجر الرقيق إدوارد كولستون في مدينة بريستول البريطانية، وفي فرنسا جرى تشويه تمثال للرئيس شارل ديجول في مدينة «لأنوار» باريس، بتهمة أنه كان تاجر رقيق ولمسؤوليته أيضاً عن الجرائم التي ارتكبت في عهده بالبلدان التي استعمرتها بلاده؛ لا سيما الجزائر.

وفي الوقت الذي أبدى فيه الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون استنكاره لتحطيم تمثال ديجول بدا كمن تناسى أن بلاده مازالت تحتفظ في متحف التاريخ جماجم ما لايقل عن 36 قائدا وطنيا من رموز المقاومة الوطنية الذين فصلت قوات الاحتلال الفرنسي رؤوسهم عن أجسادهم منذ أكثر من قرن ونصف! وفقط لاحقاً كُشف الغطاء عن هذه الفضيحة المدوية من سجل الاستعمار الفرنسي؛ واستجاب ماكرون لطلب الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون حينما وجد هذا الأخير الفرصة مؤاتية لتقديم هذا الطلب وتم إعادة جماجم الشهداء إلى الجزائر ليدفنوا في ترابهم الوطني.

سُئل المفكر الأميركي التقدمي نعوم تشومسكي بأن الممثل جورج كلوني قال في مقال له في صحيفة (الديلي بيست) تعليقاً على مقتل جورج فلويد: أن العنصرية هي وباء أميركي، وأننا خلال 400 عام لم نجد لها لقاحاً، فلماذا تبدو العنصرية راسخة ومستعصية إلى هذا الحد ؟ فأجاب تشومسكي بالرد المسهب التالي: «الاجابة موجودة في ما حدث خلال الـ 400 سنة هذه، لقد تمّ البحث فيها وعرضها من قبل، لكن بالنسبة لي فإن الأمر يستحق بعض الدقائق للتفكير من خلالها بالأمر مرة أخرى حتى ترسخ في عمق الوعي.

السنوات الـ 250 الأولى صنعت أكثر أنظمة العبودية شراسة في تاريخ الإنسانية بمجرد أن حصلت المستعمرات على حريتها. وقد كان هذا النظام العبودي فريدا لا بقسوته البشعة لكن أيضا لكونه كان يعتمد على لون البشرة. ولهذا لم يكن استئصاله ممكنا، بل هي لعنة تصل الى الأجيال المستقبلية.

العبودية الرسمية في الولايات المتحدة انتهت في عام 1865، ومنح للسود عقد كامل من اعادة الانشاء، والذي استغلوه بصورة مثيرة للإعجاب في فعاليتها وتأثيرها، نظرا

لميراث الرعب الذي يحملونه. لكن حتى هذا انتهى، حيث ان اتفاقية بين الشمال والجنوب سمحت للعنصرين في الجنوب أن يقتلوا ويقمعوا وأن يحولوا السود الى قوة عمل بالسخرة لتحرك الثورة الصناعية الجنوبية، وكل ذلك بواسطة «تجريم» السود وسجنهم بشكل جماعي وسلبهم حقوقهم.

هذه الوصمة في التاريخ الأمريكي دامت حتى الحرب العالمية الثانية تقريبا، حينما احتاجت صناعة الحرب الى العمالة الحرة .. غير أن عراقيل جدية بقيت موجودة. الفرص التعليمية التي منحت بعد الحرب أنكرت على المواطنين السود بواسطة قوانين معينة. ملكية المنازل، أساس الثروة لمعظم الناس، تم حرمان السود منها بواسطة القوانين الفدرالية. وفي الوقت الذي سحبت فيه هذه القوانين العنصرية تحت ضغط نضال حركة الحقوق المدنية في الستينيات، كانت الفرصة قد ضاعت على الكثير من المواطنين السود.

الاقتصاد عانى من الكساد في فترة السبعينيات وعندها انقضت النيوليبرالية وسيطرت على الاقتصاد، حيث صممت بالأساس لابقاء المواطنين الفقراء والعمال في مكانهم، وكالعادة فالمجتمعات السوداء كانت الأكثر تأثرا بشكل وحشي. وهذا العدوان النيوليبرالي الاقتصادي على السود جاء مجتمعا مع الموجة الجديدة من تجريم السود بواسطة إدارة ريغان العنصرية، وهي السياسة التي عُززت بواسطة بيل كلينتون تحت عباءة «أنا واحد منكم»، وحتى جورج فلويد اليوم. ليس من الصعب اذن الإجابة على السؤال، على الأقل على مستوى واحد. أما على مستوى أعمق فيمكن أن نسأل لماذا يصعب علينا معالجة هذا المرض ؟» (« طريق الشعب» العراقية ، 23 يونيو/ حزيران 20 20).

وفي تقديرنا أنه بالرغم من تلك الاحتجاجات العارمة ضد الرأسمالية في الولايات المتحدة والدول الرأسمالية الاخرى، وما تضمنته من صراع ايديولوجي علني تجسد في تحطيم تماثيل الرموز العنصرية التاريخية؛ إلا أن تلك الاحتجاجات لا تكفي لحمل تلك الدول على اجراء إصلاحات جذرية ؛ فمالم تقُد تلك الاحتجاجات قوى طليعة مُنظمة من قوى ديمقراطية ويسارية واجتماعية قادرة على استقطاب أوسع قاعدة جماهيرية ممكنة؛ من طبقات وشرائح اجتماعية عريضة متضررة من شرور الرأسمالية، وبما يمكنها من ممارسة أقصى درجات الضغط على أنظمتها الرأسمالية ، فإن التغيير لن يأتي سريعاً ولربما أثمر في أحسن الحالات عن تغيير شكلي. بيد أن تلك القوى الطليعية للأسف مازالت بحاجة إلى إعادة ترتيب بيوتها من الداخل بما يمكنها من أخذ زمام المبادرة التاريخية مجدداً.

أوقفوا الحروب

جلال إبراهيم

في العام 1932 كلّفت عصبة الأمم والمعهد الدولي للتعاون الفكري عالم الفيزياء ألبرت أينشتاين بإدارة نقاش صريح حول أية مشكلة يختارها هو بنفسه، فاختار مشكلة الحرب وأسبابها وكيفية الخلاص من تهديدها. وكان من المتوقع أن يختار شخصية سياسية أو مختصة في شؤون الحرب، إلا أن اختيار أينشتاين وقع على سيغموند فرويد عالم النفس المعروف.

لماذا اختار اينشتاين موضوع الحرب عنواناً للمناظرة؟

لأنه كان يرى أن الحروب هي المشكلة الخطيرة التي تواجه البشرية. لكن لماذا فرويد على وجه التحديد؟ لقد قرأ أينشتاين كتاب فرويد "الحضارة وإحباطاتها"، وهو الكتاب الذي شرح فيه نظريته حول التلازم بين الغريزتين الأساسيتين لدى الإنسان: الغريزة الجنسية، والغريزة العدوانية.

وتأثراً بأفكار فرويد، ذهب أينشتاين إلى القول بأن الحروب ترتكز على رغبة غريزية قوية متجذرة في نفوس البشر، تلك هي غريزة الكراهية والتدمير والعدوانية. وبحسب فرويد فإن هذه الغرائز كامنة في النفس الإنسانية ويصعب اقتلاعها من جذورها أو قمعها، لذلك يجب العمل على تصريفها في قنوات أخرى غير قنوات الحروب والصراعات المدمرة.

هذه هي الخلاصة التي يمكن الخروج بها من هذه المناظرة التي نُشرت في العام 1933 بعنوان "لماذا الحرب؟". لا شك أن من أكبر المعضلات التي واجهت البشرية في النصف الأول من القرن العشرين، هي ذاتها التي ما زالت تواجهنا في النصف الأول من القرن الواحد والعشرين.

وإذا كانت الحرب العالمية الأولى هي التي دفعت أينشتاين لاختيار عنوان مناظرته مع فرويد، فإن الصراعات والحروب الراهنة تحمل عناوين مختلفة من الكراهيات والعداوات القومية والعرقية والدينية والطائفية وغيرها. وهذه الحروب تنتشر في العديد من بلدان العالم، خصوصاً في قارتي إفريقيا وآسيا، وإن أسوأ ما تؤدي إليه هذه الصراعات والحروب هو مقتل وتشريد الملايين من البشر، وتدمير البنى التحتية للدول.

من الملاحظ أن الدول الكبرى في العالم، تلعب دوراً أساسياً في نشوب الصراعات واندلاع الحروب من أجل تحقيق مكاسب أنانية على المستويين السياسي والاقتصادي، فمن ينسى كذبة وجود أسلحة الدمار الشامل في العراق التي مهدّت إلى الغزو الأمريكي للعراق وتدميره وتجويع شعبه وخلق الصراعات والنزاعات بين مكوناته إلى اليوم.

وبعد انتفاضات الربيع العربي ومآلاتها الكارثية على أغلب دولها، لوحظ اندلاع حروب بالوكالة في أكثر من بلد عربي، في سوريا وليبيا والعراق وغيرهم. وبعيداً عن الانحياز لهذا المعسكر أو ذاك، وأسباب صراعهم على أراضي دول أخرى، فإن المبدأ الحق والعقلاني، هو عدم شرعية هذه التدخلات المؤزمة والمدمرة، وترك الخيار للشعب والنظام السياسي القائم في التوصل إلى حل سياسي يوفر الأمن والاستقرار للجميع.

إن الصراعات والحروب هي شر مطلق، لا تنتج إلا الخراب والدمار الشامل. على الأحزاب والأنظمة السياسية الحاكمة، وعلى الدول الكبرى على المستويين الإقليمي والدولي، وعلى المؤسسات الدولية الكبرى، أن تعمل جميعاً على الدفع بتجاه الحوار والتفاوض وإنتاج الحلول السياسية، من أجل الابتعاد عن شبح الصراعات والحروب التي لم تجلب إلا المآسي والكوارث.

البيت الإسرائيلي: مُجتمعٌ مُنقسم

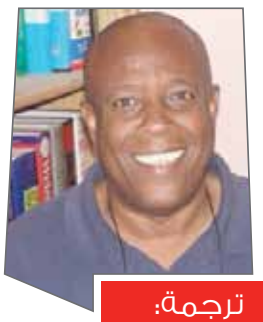

ترجمة:
غريب عوض

Avraham Burg أبراهام بورغ، هو مؤلف وسياسي ورجل أعمال إسرائيلي من مواليد القدس 1955؛ وكان عضوٌ في الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) وعضو في حزب العمال الإسرائيلي وينتمي إلى اليسار.
نُشِر هذا المقال في مجلة Eurozine الإلكترونية في يوليو 2020 *(المترجم)*

إن الصراع حول الأرض الإسرائيلية هو قضية تاريخية حساسة. ولكن هل ينبغي على المظالم السابقة والخوف أن تُضفي الشرعية على الجرائم الأخيرة ضد الإنسانية؟ في كتابه "حقائق الوطن" حول التقسيم المجتمعي الإسرائيلي الراهن يُقيّم الكاتب Avraham Burg القضايا الأيديولوجية والإقتصادية والدستورية الحاسمة.
يتكون البيت الإسرائيلي من أربعة طوابق مجازية مُشتَركة. خلافاً للبيت الإعتيادي، في هذه المُقارنة يضطر كل مُستأجِر العيش في وقت واحد في جميع الطوابق الأربعة، وهو ليس دائماً أمراً سهلاً ومُمكناً. وإسرائيل هذه قُطبين: خلاقة ومُحافظة، مُتغطرسة وخائفة، خاصة ولكنها بارِزة. إما أن تُحِبُها أو تكرهها؛ بالكاد تستطيع تجاهلُها.

الطابق الإجتماعي

وكغيرها من الكثير من المجتمعات في العالم، تظهر إسرائيل توتُرات مُتأصلة وطبيعية. فالإحتكاكات موجودة بين السُكان المحليين والمُهاجرين، ومجموعات عرقية من أصول مُختلفة (يهود من الدول الإسلامية، وأولئك من الدول المسيحية) والمجتمعات الوطنية (اليهود والعرب)، المُتديّنين والعلمانيين، وأولئك الذين في الوسط وأولئك الذين في الأطراف، الذين يملكون بعض الشيء والذين لا يملكون شيئاً. وعلى عكس التوترات المُماثِلة الموجودة في أماكن أخرى، خاصة في عالم الغرب، فإن لدى إسرائيل خاصية إضافية خاصة، تم دمج مُعظم توتراتها في إنشقاق مُتزايد واحد قام بتشريح المجتمع بشكل عميق ومؤلم على أُسُس طائفية/دينية تقليدية، وخطوط إقتصادية وأيديولوجية. وعلى جانبي الحاجز الإجتماعي السياسي، يمكن للمرء أن يجد صورة مرآة مُتعارضة تقريباً: على الجانب الأيمن من الخريطة، المُحافظون الدينيون والقوميون، عادةً من الدول الإسلامية الأسيوية والأفريقية ذات الوضع الإقتصادي الإجتماعي المُنخفض، يُقيمون في المُحيط؛ والعلمانيون، المُتعلمون، الراسخون، الليبراليون، المُهاجرون من الغرب الذين يتمتعون بوجهات نظر عالمية أكثر إنسانية والشطر المسيحي يتمركزون على الجانب الآخر.
ينبغي على كلُ من يحاول التعامل مع أي من التوترات الاجتماعية المذكور أعلاه في إسرائيل أن يواجه 'الحِزمة' بأكملها: الدين والدولة، الفجوات الإقتصادية، والإمتيازات والحِرمان، وأنماط التصويت في الإنتخابات العامة. يتمُ دمجها معاً، وعلى ما يبدو لن يتمُ فصلها أبداً. وتحديد الحدود السياسية لإسرائيل، على سبيل المِثال، هو في المقام الأول مسألة دينية وليس سياسية أو عسكرية، بسبب الأعتقاد السائد بأن الله وعد بهذه الأرض بالذات للشعب اليهودي. كما أن أنماط التصويت في الإنتخابات العامة مُتورطة مع الإقتصادي الإجتماعي المُرتبط ببلدان الأصل والمُعتقدات الدينية. وتتأثر تكلفة المعيشة، التي يتم تحديدها من خلال التكاليف الباهِضة لآليات الحُكم في الشريعة اليهودية، هي بالمثل تتأثر بالوضع الإجتماعي للفرد.

بقلم:
Avraham Burg

الطابق الأيديولوجي

وكأن هذا لم يكُن كافياً، فإن هذا المجتمع المُجزأ يتأثر بطبقة أُخرى من الإنقسامات. تنقسم إسرائيل الأيديولوجية إلى أربع 'غُرف' ترفض التوحد في كيان عائلي كامل.

الغُرفة الدينية

تحتوي الغُرفة الدينية على مؤمنين من ديانات مختلفة ، سواء كانوا يهود أو مسلمين (ليس للكنائس والمؤمنين المسيحيين تأثيراً يُذكر هُنا)، الذين مبدئياً ينظرون إلى أنفُسهم أنهم مواطنون مُتدينون يلتزمون بالأوامر والشخصيات والمؤسسات الدينية. مُلصقات يهودية تقول، «لا يوجد أحدٌ غيرهُ، تتنافس مع نظائرها المُسلمة، «لا إله إلا الله».قد تتغيّر الهوية السامية ولكن ديناميات المؤمنين الذين يرفضون سُلطة وشرعية محاكم البدن والدم لا تتغيّر. إنهم يعتبرون أنفسهم خاضعين فقط للمَثل الأعلى. وكانت أزمة الكورونا مِثالاً على ذلك.

عندما اشترطت الدولة العُزلة والتباعد الإجتماعي، أنتهك بعض الحاخامات علانية التعليمات. وواجه العديد من المؤمنين خياراً بين الحاخام والدولة اختاروا إتباع الأول بغض النظر عن العواقب الصحية.

الغرفة الإقليمية

أُولئك الذين يُكرسون الأرض المُقدسة على استعداد للتضحية بأنفُسهم من أجل قضيتهم الإقليمية. إنهم يُريدون المُلكية وبشكل حصري على هذه الأرض حتى على حساب إراقة الدماء، وفقدان السيادة أو إنكار حقوق وحُريات أي شخص لا ينتمي إلى «دولتهم المُتكاملة» ومُلكيتها. بعض اليهود سوف يفعلون أي شيء من أجل نكران وجود فلسطيني «أجنبي» فوق «أرضهم». إذا انسحبت الدولة من أراضي الكتاب المقدس، فإن المتدينين سيؤسسون 'مملكة يهودية' الجديدة، ويؤمنون بأن الأرض المُقدسة تنتصر على الدولة. وفي المُقابل، هناك مسلمون.يرغبون في أن يختفي اليهود من 'أرضهم' دار الإسلام.

غُرفة الدولة

هذه 'الغُرفة' يسكُنها هؤلاء الذي يُركز كيانهم الكامل على الدولة الإسرائيلية، تاج التاريخ اليهودي. إن خطابهم يرفع إلى حد كبير من مجده أن الدولة ومؤسساتها تُعتبر مُقدسة، فالجذور والفاكهة، والمصدر والواجهة، هي قمة كل الإنجاز. تبدو جميع المبادئ الأُخرى غير مُهمة وتم رفضُها. سوف يقتلون أو يُقتَلون من أجل الحفاظ على قيم الدولة.

الغُرفة الإنسانية

هذا هو بالفعل أصغر جزء مُتناقص من إسرائيل. لا يزال المثصلحون الإجتماعيون يعتقدون أن حقوق الأفراد وحريتهم يجب أن تُشكل الأساس المدني للمجتمع والدولة. جميع القيم المدنية والقومية الأُخرى مبنية على أُسُسُها. لكن كلٌ من المجموعات الثلاث الأُخرى تخوض صراعاً ضد أُولئك الموجودين في المجال الإنساني، وتُهاجم قيمها ومبادئها.

هذه المواقف الأيديولوجية الأربعة ليست مُترابطة. المصلحون الإجتماعيون والدُعاة الدينيون لم يكونوا على علاقة جيدة مُنذُ فترة طويلة. أُولئك الذين يؤيدون الدولة يتصادمون مع الإقليميين، وخاصةً أُولئك الذين يُروجون لموقف عدواني من المُستوطنين، حول الحدود والسُلطة. إن الديمقراطية الإسرائيلية في طلاق قبيح بين الديمقراطيين الليبراليين، وبين آراء الأغلبية ومُساواة الأقليات. وحقوق الإنسان تتآكل وتُتلف في هذه العملية.

الطابق الهيكلي

الطابق الهيكلي ليس مرئياً دائماً ولكنهُ ضروري لفهم نقاط الضعف والمخاطر التي تواجه ديمقراطية إسرائيل في المستقبل. كلُ ديمقراطية تعمل أُفُقياً تقريباً. إن سلسلة السُلطة الديمقراطية هي مُحادثة مستمرة بين مُتَساوين تهدفُ إلى إيجاد إتفاق عام وإجماع. يقوم على الإستماع إلى الآخرين الإستماع إلى المواطنين الشُرَكاء في الوطن المُختلفين ولكن مُتساوين تماماً في المجتمع المدني والحقوق الدستورية. يوجد في إسرائيل ما وراء التمييز المبني بين اليهود والعرب هيكلان غير أُفقيان وغير ديمقراطيان مُهمان ومُأثران للغاية: الجيش والحاخامية (سُلطة رجال الدين اليهود).

الجيش هو بوتقة الإنصهار الذي يتحرك من خلاله مُعظم المواطنين للدخول في المجتمع المدني المسؤول. وبالفعل الكثير من القادة العسكريين يتولون مناصب سياسية ضمن الدولة والنُظُم البلدية عند نهاية خدمتهم العسكرية. إنهم يغرسون استخدام الأوامر القيادية من أعلى إلى أسفل في الخِطاب المدني بدلاً من زراعة وتشكيل اتفاقيات وتفاهم ديمقراطي من أسفل إلى أعلى.

إن الحاخامات والمؤسسات الحاخامية – الرسمية وغير الرسمية على حدٍّ سواء – هي مصدر السُلطة التي يُطيعُها لها الكثيرون قبل النظر في الدستور وأخلاقياته أو القانون وإرشاداته. لقد أعطت سُلطات نظام الدولة الإسرائيلية المسؤولية لتفسير يهوديتها للقادة والمؤسسات الدينية التي لا تخضع تبعيتها الأولى للإنسانية والديمقراطية بل تخضع لله ورجال الدين.

سقيفة الخوف

تمّ بناء سقيفة رائعة وفريدة من نوعها في الجزء العلوي من هذا الهيكل. لحظات قليلة فقط من الأمل والنور انتشرت في التاريخ الإسرائيلي: إنشاء الدولة ذات السيادة في عام 1948، الإنتصار الساحق لعام 1967، مُبادرة الرئيس المصري أنور اسادات المُفاجئة للسلام، الإبتكارات المُدهشة لإتفاقيات أوسلو التي خلقت جواً شبه مُفجع من النشوة. ولكن هذا كل ما هُنالك. كانت جميع اللحظات الأخرى رمادية، مُتعرقة وطبيعية تماماً.

لَم يتعلم المجتمع الإسرائيلي تقدير هذا الوضع الطبيعي والاحتفال به. حتى ألآن لم نُطور لغُة مُستقرة؛ يبدو الإنتظام غريباً بالنسبة لنا. لم نقم حتى الآن بالتحول النفسي الكامل من الشتات المُتناثر إلى الحكومة المركزية، ومن مُغترب إلى سيادة ومن تاريخ من الخوف والإضطهاد إلى سياسة الثقة والثقة بالنفس. وقادتنا، وهم ساخرون مثل جحافل القادة السياسيين الآخرين، يستغلون نقطة الضعف الجماعية هذه ويُديمون التوتر من أجل مكاسبهم.

إن قُدرَة القائد على نشر الخوف تعتمد إلى حدٍّ كبير على استعداد عامة الناس أن يكونوا خائفين. ويحتضن اليهود الإسرائيليون الخوف – إنهم مُدمنون عليه. وعلى الرغم من القوة الهائلة التي نمتلكها، أكثر من أي زمنٌ مضى، إلا أننا لسنا على استعداد بعد التخلي عن مكانة إسرائيل كمجتمع من الضحايا. يعرف الكثير منا الخوف المُستمر باعتباره صلة طبيعية وأصلية بالتاريخ اليهودي كما لو تم حرقهُ في أذهاننا. إذا كان هُناك أي شيء نجح نظام التعليم الإسرائيلي في غرسه، فهو الإعتقاد بأن جيلاً بعد جيل من اليهود قد تعرضوا لحملة كراهية كبيرة ومُستمرة. تاريخها قديم قِدم الأعمال العدائية بين إسحاق وإسماعيل، ويعقوب وعيسو. كُلُ خصمٌ هو ظالم، وكلُ ظالم مثل هتلر، وكُلُ ناقد شرعي مُعاد للسامية.

ومع ذلك، كان مُعظم التاريخ اليهودي هادئاً نسبياً. ولم تكُن استمرارية الوجود اليهودي في أماكن مُبعثرة أكثر صعوبةً من استمرار وجود الجيران الذين كُنا نعيش بينهم. تم استهدافنا واضطهادنا وقتلنا عدة مرات فقط في هذا التاريخ الطويل. في باقي الزمن، كان الكُل يقتل بعضه البعض بسخاء قاتل. ولم يكُن اليهود استثناء منذلك.

«مُتلازمة الضحية الأبدية» تُعفينا من أي مسؤولية، في جولة العُنف الأخيرة في غزة، نزلتُ إلى الشارع مع أصدقائي احتجاجاً عل هذه الحرب غير الضرورية. في نهاية المُظاهرة، تجمع بعض البلطجية اليمينيين من حولي. تأثرت مُحدثتنا بتهديداتهم المُخادعة وانتهت على هذا النحو:

«أفرهام بورغ، لماذا أنت ضد الحرب في غزة؟»

«لأنني أنا دائماً ضد الحرب وضد الحصار اللا إنساني في غزة على وجه الخصوص».

«أعرفُ أنهُ ليس تفكيراً طيباً، ولكننا لم نُنشئ غُرف الغاز في غزة، أليس كذلك؟"

«أأمل أن لا يكون كذلك. بالطبع كلا."

«إذن، كلُ شيئاً على ما يُرام، اليس كذلك؟»

ذلك هو السر – دور الضحية يُحررُنا من كل المسؤولية. لا شيء يمكن مُقارنته بما فعلوه بنا. ونتيجة لذلك، يُسمَح لنا أن نفعل أي شيء بخلاف ما فَعلوه بنا. جدلياً، تُصبح أفعالنا شرعية. إن المحرقة هي سقيفتنا وسقفنا، إنها أرضية العواطف التي تُبرر كُلُ شيء، تُمكِنُنا من فعل أي شيء تقريباً ولا ندفع الفاتورة.

إن الإنقسام الإجتماعي الإسرائيلي، والتفتُت الإيديولوجي والديمقراطية المُتآكلة بتقع في خوف مُزمن. فلاعجب في أن الكثير من الناس يعتبرون إسرائيل العالم المُصغر للغرب. إذا كُنت تُريد أن تفهم الغرب، تعال لزيارتنا. كُلُ شيءً مُركز وموجز ومُكثف في إسرائيل. فبمُجرد أن تفهمنا نحنُ الإسرائيليون، سوف تفهم التوتُرات والإتجاهات البشرية في جميع أنحاء العالم.

حسين غباش

في سنواته الأخيرة عكف حسين غباش على مبحث، أراده رداً على موجة التطرف والتكفير والإرهاب التي أقحمت الإسلام تعسفاً في خطاباتها، فكان كتابه عن نبي الإسلام محمد – "قراءة حديثة في سيرة رسول النور والسلام"، مسعى لنزع ما أقحم على هذه السيرة، وهي نفسها الفكرة التي عكسها في كتابه الآخر عن التصوف الإسلامي، الذي أبرز فيه قيم التسامح والعيش المشترك بين مختلف الأديان والملل في إطار الحضارة الإسلامية.

يبدو ذلك متسقاً مع فكر وسلوك حسين غباش، الذي لمسه كل من يعرفه عن قرب، أو قرأ مؤلفاته، فهو ينتمي إلى الجيل المخضرم الذي أدرك بدايات تأسيس دولة الإمارات، وطنه، وعاش التحولات المهمة التي عرفتها المنطقة الخليجية عامة، لا من موقع المراقب، وإنما من موقع المشارك، كناشط وكاتب وباحث وأكاديمي ودبلوماسي، عرف بقوة تأسيسه الثقافي، ورؤيته الوطنية والقومية، هو الذي كان دائماً منشغلاً بالهم العربي ومتابعاً له في كتاباته ونشاطاته، وبرحيله فقد الوسط الثقافي والأكاديمي الخليجي من وجوهه المهمة، ترك أثراً مهماً في المنجز الثقافي والبحثي في وطنه والمنطقة.

إضافة الى كتاباته في الصحافة فإن حسين غباش كان باحثاً دؤوباً ترك مؤلفات هي بمثابة مصادر في مجالها، خاصة منها تلك المتصلة بتاريخ وراهن منطقة الخليج العربي، ومن أهم هذه المؤلفات كتابه عن سلطنة عمان الذي تناول فيه "تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث»، متتبعا تحولات هذا البلد الخليجي المهم على مدار قرون.

ومن مؤلفاته في الشأن الخليجي أيضاً كتابه المهم الذي درس فيه "الجذور الثقافية للديمقراطية" في المنطقة، متخذاً من تجربتي الكويت والبحرين نموذجاً، في نطاق ما وصفه ب"تاريخ الشعوب الصغيرة"، حرصاً منه على مراعاة الخصائص التاريخية والنفسية التي تميّز هذا النوع من الشعوب، بالقياس إلى الأقوام والأمم الكبيرة.

وفي مؤلفه هذا، كما في مؤلفه عن سلطنة عمان، أولى الباحث عناية كبرى لتفاصيل التطور التاريخي في المنطقة من زواياه المختلفة، مرتكزاً على قاعدة منهجية رصينة، وأدوات تحليل علمي، وهو الأكاديمي الذي نال درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من فرنسا.

أهم ما في كتابه: "الجذور الثقافية للديمقراطية في الخليج"، هي المقاربة الجديدة، ذلك أن الباحث اشتغل على ذات المادة التاريخية التي سبق أن تناولها باحثون آخرون، عاد غباش إلى دراساتهم، لكنه اختار لبحثه مدخلاً مختلفاً غير مسبوق، ليضع القارئ أمام أسئلة كبيرة حول آثار الهيمنة البريطانية المديدة على بلدان الخليج العربية على مسار التطور السياسي لهذه البلدان، أتنطبق عليها الفرضية التي ذهبت اليها دراسات مشابهة على بلدان خضعت للاستعمار الغربي طويلاً، في أماكن أخرى من آسيا وأفريقيا وحتى أمريكا اللاتينية، حيث جرى النظر إلى أن الهيمنة الغربية كانت عاملاً مسرعاً، في انفتاح هذه البلدان على العصر، أم أنها، في حالنا الخليجية تحديداً، لعبت دوراً كابحاً لهذه السيرورة، وأعاقت النمو التاريخي الطبيعي الذي كان يمكن لهذه البلدان أن تقطعه دون محفزات أو تدخلات خارجية.

ما أراد المؤلف البرهنة عليه أن لفكرة المشاركة أسساً راسخة في البنى التقليدية لمجتمعات الخليج، فكل الثقافات تحمل قيم مشاركة ومساواة، تؤهلها لأن تطور ديمقراطيتها الخاصة النابعة من ملابسات تطورها التاريخي والثقافي. ومن هنا كانت عناية المؤلف بدراسة الثقافة التقليدية، قبل أن تقع بلدان الخليج تحت الهيمنة البريطانية، من أجل تقصي ما يعده الكاتب جذوراً ثقافية للممارسة الديمقراطية، حالت هذه الهيمنة دون تطورها في مساراتها المفترضة، لأن الاستعمار أعاق التطور الطبيعي لهذه البلدان. إن مسار انتقال مجتمعات الخليج للحداثة والمشاركة كان يمكن أن يتم من داخلها، بما يتلاءم وخصوصياتها، لولا أن التعامل الاستعماري، أو الكولونيالي بتعبير الكاتب، أدى إلى إجهاض محاولات النهضة واحدة تلو الأخرى، مما أفقد المجتمعات الخليجية من روافعها وقوى نهوضها لتتحول إلى محميات بريطانية مفرغة من هويتها الوطنية والثقافية.

حدث ذلك لأن المستعمر بعد أن هيمن على المنطقة سعى لتفكيك نسيجها الاجتماعي، مما أدى إلى انقطاع السيرورة التاريخية الطبيعية، كأن الباحث يأخذنا الى الاعتقاد بأن الديمقراطية قبل أن تكون ممارسة سياسية، هي في الأصل قيم ثقافية، يعبر عنها نمط حياة، وبالنتيجة، لا يمكن اختزالها إلى آليات ونظم سياسية، فهذا، برأيه، تبسيط يفقدها دلالتها ويُعرضها للتشويه.

من المنطقي والحال كذلك، ألا يعتد الباحث بالنموذج الأوروبي للديمقراطية بصفته النموذج الأوحد لها، فكل الأمم قادرة على أن تبتكر صيغتها الخاصة، رغم أن القيم المطلقة للديمقراطية تبقى واحدة بالطبع. وهي خلاصة مهمة تذكرنا بمقولة للمفكر الراحل اسماعيل صبري عبدالله الذي قال مرة إنه لا مانع من التطوير التدريجي للآليات الديمقراطية في بلداننا العربية، وأن تكون لها صيغتها الملائمة لظروفنا، شريطة ألا يكون بديل رفض الديمقراطية الغربية، هو رفض الديمقراطية ذاتها كثقافة وكعلاقة بين الدولة والمجتمع، ففي الغالب الأعم جرى توظيف هذا القول كذريعة لرفض فكرة المشاركة السياسية بحجة أن الديمقراطية بضاعة أجنبية لا تلائمنا، وتكريس أشكال الاستئثار بالقرار وبالثروة في أشد صورها إستبداداً.

ويمكن لنا أن نجد في سلسلة من المقالات نشرها الفقيد في "الخليج" في التسعينات الماضية، وحواها كتاب صادر عن "دار الخليج" تحت عنوان: "الإمارات والمستقبل – نحو رؤية وطنية جديدة" في عام 1999، نموذجاً على بانورامية نظرته لمختلف القضايا، فالكتاب ضم مجموعة مقالات تتصل بالشان الإماراتي من زوايا الهوية والاقتصاد والثقافة والبنية الدستورية والتشريعية، كما ضمّ في قسم ثان قضايا المنطقة الخليجية من منطلق ايمان غباش بوحدة دول الخليج، وبما تواجهه من قضايا وتحديات مشتركة، ولم ير الشأنين المحلي والخليجي بمعزل عن أفقهما العربي فتناول كذلك مجموعة من القضايا العربية لا تقف عند حدود المشرق وحده وانما تبلغ المغرب العربي ايضا.

الطائر الأزرق

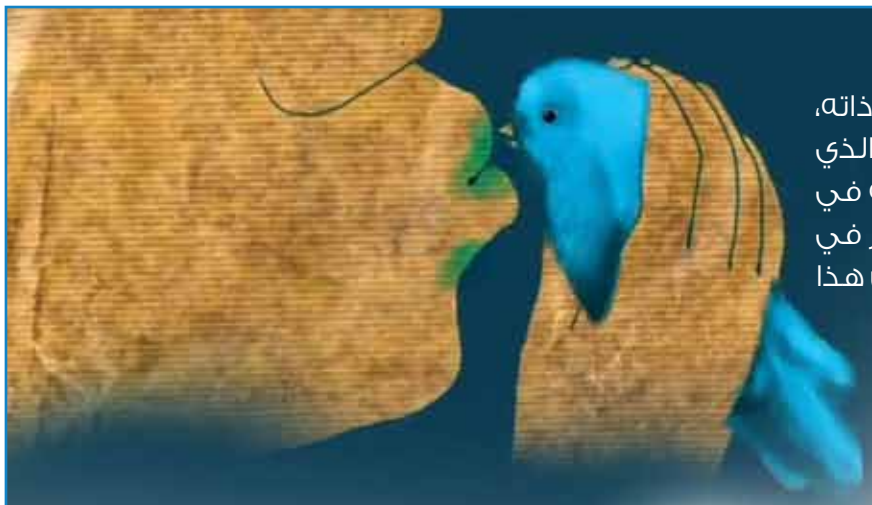

لا شكّ أن لكل شاعر عتاده اللغوي الخاص، لكن في زاوية ما من زوايا ذاته، يختبئ عصفور أزرق مثل الذي أخبرنا عنه الشاعر تشارلز بوكوفسكي، والذي حرص على إخفائه مخافة أن يخرج و يخرّب أعماله، وينسف مبيعات كتبه في أوروبا، هذا الطائر المسجون في قفص قلبه، كان أداته السحرية للإستمرار في الكتابة، ولأنّه الأول والوحيد الذي باح بهذا السر، فإنّنا لن نعرف أبداً هل كان هذا الطائر دخيلاً على قلبه أم أنّه وجد هناك منذ ولادته؟

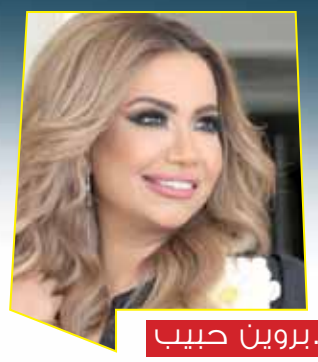

د.بروين حبيب

برع بوكوفسكي في وصف طائره الخفي، وهو الذي مثّل دوماً حزنه الخاص، وقلقه، وقلّة رضاه على نفسه وما حوله، وصف قسوته أيضا على طائره، وفي ذلك إشارة واضحة إلى قسوته على نفسه، وجعلها دائما حبيسة ألم ما حتى يحافظ على سيولة كلماته، إذ يبدو أن أدبه لم يكن نابعاً سوى من أوجاعه الخاصّة، وآلامه التي حرص على رعايتها بدل التّخلّص منها مثلما يفعل الناس العاديون.

تحيّن بوكوفسكي كل فرصة للحزن ليغرق فيها ويصنع منها نصوصا إستثنائية، إعتبر الحب كلباً من الجحيم، وأقرّ في أحد كتبه أنه مستعد لقتل من يأخذ سيارته، لكنه لن يفعل ذلك أبدا إن أخذ أحدهم امرأته، مع أنه في موضع آخر يرفض أن يمتلك رجل امرأة « إننا لا نملكهن ولكننا نستعيرهن لبعض الوقت».

كل كلمة كتبها بوكوفسكي مستفزة، ونافرة من السطح المعهود للكتابة الملساء التي تعجب قراءها وتصنع معجبين كثر لها، لقد اختار أن يسبح ضد التيار بمزاجه القلق الدائم التعكّر، كان مقتنعا أيضا أن الحصول على الكراهية المجانية ممن حولنا دليل قاطع على أننا أنجزنا المهمة بشكل جيد.

حافظ على تلك القناعات حتى آخر يوم في حياته، كما ظل مقتنعا أنه شاعر حقيقي وبعيد كل البعد عن "الشعراء المزيفين» الذين يجدون شقوقا يندسون منها إلى المشهد الشعري، هناك الكثيرون منهم في جميع المدارس يقول، هم شعراء محتالون، ينتهي بهم الأمر إلى الإختفاء، لأن قوى الحياة تسحقهم تحت أي شيء...!

يُروى عن الشاعر الغزير الذي ترك آلاف الصفحات المسوّدة أنه يكتب قصيدة كل يوم، وأنّ الشّعر بالنسبة له هو ثروته وعبقريته الجمالية، إذا ما قسنا حياته التي كانت تشبه حياة الأشباح، لا شيء مذهل فيها، رجل يتسكّع في الشوارع، يدخل الحانات، يجلس إلى مكتبه ليكتب الشعر، يقودنا معه أحيانا إلى طرق مسدودة وأماكن عمياء، ينفذ هو ويتركنا أمام غموض لا نفهم منه شيئا، ثم يخبرنا حكاية عصفوره الأزرق، حكاية أخرى لا تدخل العقل إلاّ بإسقاطات نجتهد لإيجادها لتقبل الرجل.

عاصفة الشّعر تبدأ ببوادر خفيفة، مثل عواصف الطبيعة، ترسل الإشارات لتفاديها أو مجابهتها، حتى تبلغ ذروتها، يحدث أن يفرّ البعض من وجهها وهم في بداية تلك التحوّلات التي تنسف بكل ما هو هش في لهاثهم، يبقى الشعراء إلى آخر رمق عالقين في قفص لا نراه، يقفون على مسرحهم ويؤدون دورا غريبا، لا أحد يُصدّق أن المعتوهين منهم سيكونون أكثر صمودا من غيرهم، إلى أن يكتمل العرض باكتمال حياتهم.

هل يستحق الشعر كل هذا الإبتذال في الحياة؟ هل يستحق الإنطفاء في الحانات، تحت وهج السجائر وروائح الكحول؟ هل يستحق الطائر الأزرق العذب كل تلك القسوة وهو مدفون في أماكن لا ترى الشمس؟ ولا تهب عليها نسائم الطبيعة الطليقة؟

يعترف مجنون الشعر هذا أن الظروف الفتّاكة بأعماقه وحدها قادرة على صناعة الشعر، تماما كما اعترف قبله رسام فرنسي شهير هو هنري تولوز لوترك بأن الحانات والشراب والأماكن الوضيعة وحدها تجعله يرى الألوان جيدا، فعاش حياة مشابهة لشاعرنا، سجن فيها نفسه، ولم يستطع الخروج منها، لدرجة أن البعض أشفق عليه لأن الفن كان يمص منه نسغ الحياة وكأنّه هو الأداة وليس سيّدها.

المرض الذي أصيب به لوترك جعل منه "فرجة " للناس، حتى أن صوراً بالعري أخذت له ليتسلّى مشاهدوه بسحنته الغريبة، في هيئة طفل بلحية، بالطبع كان محظوظاً حين تبناه فنيا بعض أقاربه، لكن جرحه العميق ظلّ حبيس نفسه، طائره الأزرق خاصّته، محنته التي تقاسمها مع روحه القابعة في جسد أتعبه، حتى أنه يعرّف الفن التشكيلي على أنه " قذارة نشعر بها ولا نستطيع تفسيرها " وهذا ما لا يمكن أن يتقبله إنسان لديه أدنى حد من الإحترام للفن.

الرّجل الذي انتقد على أيامه حتى في نوعية لباسه وجد ما يسخر به من منتقديه: "أنت لا تموت من ثقب في ملابسك إلا إذا كنت غوّاصا" قاصداً طبعا لباس الغوص القديمة الشبيهة بالبرميل.

سخريته اللاذعة، لسانه الحاد، وساخته، ووقاحته، ظلّت لصيقة بسلوكه الغريب إلى آخر لحظة في حياته وهو يرمق والده الأرسطوقراطي بنظرة رافضة رغم أن الأب كان حزيناً لأجل إبنه، فقد دللته العائلة واحتوته، رغم رفضه للطريقة المخملية التي يعيش بها أفرادها. مات بمرض الزهري الذي أصيب به من معاقرته لبيوت الدعارة، وهو في ريعان شبابه (36 سنة) ومن الكحول التي كان يتناولها دون وعي، وقد مثل لغزا حقيقيا لمن أراد فهمه، كان من الصعب رؤية مغارته السرية التي يخفيها في أعماقه والتي يعتكف فيها كائن شفاف يعشق الألوان ويرفض الخروج منها رغم معرفته الأكيدة أنها تقوده لهلاك حتمي.

ماذا يفعل الفن بصاحبه حين يطغى عليه؟ هل هناك حرب بين الفنان أو الشاعر وذاته المبدعة؟ هل هناك خط فاصل بين الإثنين؟ هل هناك طريق عودة للخلف قبل التّورُّط في هزيمة واستسلام ومازوشية غريبة يجد فيها المبدع لذة لا منتهية؟

كل الأجوبة تضعنا في مواجهة حقيقية لطغيان "الطائر الأزرق" على الشاعر، وهو يتحوّل شيئا فشيئا إلى درع واق لطائره، فيما اعتقد طويلا أنه كان يقسو عليه...!

حماية المغارة التي تحوي كنز اللغة أو الألوان، مهمة شاقة، نعرف تفاصيلها، لكننا لا نعرف السبيل لتخفيف تأثيراتها القاتلة، بعض الشعراء لا يعرفون إلاّ بعد موتهم بسنوات، وأهم الرّسامين في العالم تباع لوحاتهم بأثمان باهظة بعد أن يغادروا الحياة، معروف منذ الأزل أن المقربين من البلاط يعيشون من شعرهم، أولئك المزيفون الذين كان يمقتهم بوكوفسكي، والذين جعلوا لوترك يخرج من طبقته المخملية فعلياً، دون أدنى أسف على الرّاحة الجسدية التي كان سيحظى بها على الأقل خلال عمره القصير.

في مجمل القول سواء توقفنا عند بوكوفسكي أو لوترك أو غيرهما، مثل بودلير أو رامبو أو نرفال، فإنّ الخلاصة ستكون مبنية على صعوبة الفصل بين الحقيقة والوهم في حياة هؤلاء، بين ما يعيشونه في الواقع المشترك بين الناس جميعا، وما يعيشونه بالموازاة بينهم وبين أنفسهم، وهو عالم كامل يقتسمون بعضه مع جمهور عريض لكن من الصعب على هذا الجمهور أن يصدّقه، من الصعب جدا أن يصدق قصّة العصفور الأزرق...!

خلل التواصل في وسائل التواصل

منذ أنّ تمّ اختراع الكتابة وهي تثيرُ إشكاليّة التواصل، وقد عرضها أفلاطون عبر قصّة تمثّل الأسطورة عن الإله «تحوت» الذي قدّم اختراع الكتابة للفرعون المصري، كانت الإشكاليّة هي أنه سيتمّ نزع السياق والهدف من المحتوى فيضيع الكلام، أي من قالهُ ولماذا ولِمن ولأجل أيّة غاية؟ ولأجل هذا قد يردّد نفس الكلام شخصٌ أحمق في موضعٍ آخر يظنُّ أنّه يقولُ شيئًا حكيمًا.

أحمد رضي

هذا الخللُ في التلقّي سيجعل من النص متعدد التأويل، ولكنّه أيضًا سيخلق إشكالية في التواصل، خصوصًا مع النقاشات التي تجـري في وسائل التواصل. ولأننـا لن نستطيع الاستغناء عن هذه النقاشات أو عن الكتابة من أجل التواصل، يبدو أن المهمّة التي علينا أن نستمرّ في ترقيعها دومًا. هي بحثُ هذه الإشكاليات وتلافيها المرّة تلو الأخرى.

وما يثيرُ الاهتمام لدى أي موضوعٍ يُطرح للنقاش العامّ في وسائل التواصل، هو التكراريّة في الالتباس الذي يحدثُ بين المتحاورين. (كلٌ يغني على ليلاه) بما يمنع من تبلور أيّ رأي عامّ يؤدي إلى تحقيق تقدّم اجتماعي.

ومن المسائل التي تزيدُ من هذا الالتباس، الإدعاءُ بأن الحقائق تأتي من الذات بما ينفي وجود حقائق موضوعيّة، أي أنّ الحقائق نسبيّة دائمًا بناءً على الشخص الذي يرى.

ومثال ذلك: الزعم لدى بعض النسويّات في وسائل التواصل بأنّ الرجل لا يمكن لهُ أن يفهم المرأة باعتبارها كائنًا مختلفًا، ألا يقابلها في أنها هي أيضًا لا يمكن أنْ تفهم الرجل. وبالتالي؛ فإن أي حديث عن «الذكورية» لا معنى له، انطلاقًا من عدم قدرة المرأة على فهم هذه الذكورية!.. هذا منطق خاطئ، لأنه بالمقابل، لن يفهم الرجلُ رجلاً آخر من وضع اجتماعيّ وثقافي ومادي مختلف. وبمتواليةٍ لا تنتهي، هكذا لن يفهمَ أيّ أحدٍ أحدًا آخر. وتنتفي بذلك أيّة حواريّة ممكنة.

أزعم العكس؛ إذ يمكن لبعض الرجال أن يفهم النساء والعكس صحيح، بأكثر مما يمكن لنفس النوع الجنسي أن يفهم في كثير من الأحيان. المسألة لا علاقة لها بالنوع الجنسي بقدر ما لها علاقة بقابلية الشخص للفهم، والتعاطف، والتقمص، مع قليل من الذكاء. من الخطأ أن يحتكر الرجل خطاب المـرأة، وليس خطئًا أن يكون مساهمًا. بل إنه يجب أن تكون غاية الخطاب النسوي في إقامة هذا الحوار الذي يهدف إلى إحراز تقدّم مجتمعي، وليس عبر احتكار التمثيل الذي قد يخفي غاياتٍ سلطويّة.

فالزعم بأن الرجل لا يمكن أن يفهم المرأة يناقض ذاته منطقيًا، فكيف عرفنا ذلك؟ هذا يستلزم أن تعرف المرأةُ الرجل، حتى تستطيع أن تقرّر أنه لا يستطيع أن يعرف. وللتوضيح سأعرضه بتسلسل أبطأ:

1) لا يمكن للرجل فهم المرأة، لأنهما من جنس مختلف.

2) إذًا لا يمكن للمرأة أن تفهم الرجل لأنه من جنس مختلف.

3) وعلى هذا يترتّب: لا يمكن للمرأة أن تزعم بأن الرجل لا يفهم المرأة، وذلك لأنّها لا يمكن أن تفهم إن كان الرجل قادرًا على ذلك أم لا، لأنهما من جنس مختلف.

فمن الطبيعيّ أن تختلف وجهات النظر، ولهذا وُجد «الحوار». فالخطأ ليس في من يتحدّث إذًا، رجلاً كان أو امرأة، وإنما في ما يزعمه او تزعمه. علينا أن نفرّق بين مسألة فرديّة: لا يمكن لأيّ كانٍ «رجلاً أو امرأة». أن يتحدث عن أحد نيابةً عنه وعن تجربته الخاصّة، أو أن يقرّر عنه. وبين مسألة اجتماعيّة: أي وضع اجتماعي/ نفسي يفرزه التمييز والتنميط. ولهذا يعتبر «الفهم» هو العتبة الأولى لإيجاد ما هو عادل ونزيه ومُحب. سوى ذلك، فهو ليس سوى فضفضة تتضارب فيها الآراء الذاتيّة التي جميعها صحيح ومتناقض في الآن ذاته.

الخللُ الآخـر، هو إلى من يتمُّ توجيه الخطاب، حيث يمكن إضاعة أي فكرة في النقاش العام كان يمكن للمجتمع أن يتقدّم من خلالها، وذلك بسبب الخلط بين ما هو فرديّ وما هو مجتمعي.

مثال: خبر يتمُّ نشره في وسائل التواصل "طفلٌ يصاب بالكورونا، وذلك لالتقاطه قفازًا من الشارع". يهدف الخبر إلى توضيح مشكلة اجتماعيّة وهي القاء القفازات المستعملة في الشارع. لكنّ نصف الردود على هذا الخبر تحاول أن تبحث في سبب إهمال العائلة في رعاية الطفل. ربما يتطوّر البعض للتنظير حول التربيّة، آخرون سيبحثون عن من هي هذه العائلة، وكيف حدث هذا الأمر بالضبط.

وقد تبدو مداخلاتهم وجيهة للوهلة الأولى، فالجميع سيتفق على أن كلّ عائلة يجب أن تراقب أبنائها. لكنّها مع ذلك خاطئة، لأنّ مدخلها خاطئ ويهدف إلى تضييع النقاش العامّ عن مشكلة اجتماعيّة. إذ أنّ هذا النقاش لم يبلور رأيًا عامًا حول مشكلة محـدّدة وواضحة، وهـي رمـي القفازات، وتكون نتيجة هذا النقاش هي: على كل عائلة أن تراقب أطفالها. فهذا هو حل مشكلة رمي القفازات!.

قسَ على ذلك، عندما يتمُّ تداول مسألة فرديّة، على أنها شأنٌ اجتماعيّ، مثل مسائل الحـريّـات الشخصيّة والإيمـان الداخلي والنوايا، على أنّها شأنٌ اجتماعي.

وفيما يتعلّق بالموضوع الذي شاع في الأونة الأخيرة على وسائل التواصل، وهو ازدياد نسبة التحرّش الجنسي في بعض المجتمعات العربيّة. إنّ جزءًا كبيرًا من خلل التواصل هو في عدم التمييز بين الخطاب العامّ والخاص. أي متى يتمّ توجيه الخطاب للمجتمع، ومتى يتمُّ توجيهه للأفراد.

ولتوضيح الفكرة هنا، سنستبدل موضوع "التحرّش" ونقيسه بموضوع متخيّل هو "السرقة" ، ليس بسبب تشابهه مع موضوع التحرّش السابق، كما في العبارة الشائعة أن "المال السايب يعلّم على السرقة" للتدليل على أنّ زي المرأة قد يكون سببًا في ازدياد نسبة التحرّش، سيكون مثال السرقة هنا، لأنني لا أظنّه سيثير حساسيّة، وبالتالي يمكن استيعاب الفكرة ببرود أكثر.

فلنتخيّل أنّك تحيا في مدينة ازدادت فيها معدّلات السرقة، وحين يشكو الناس من هذا الأمر يخرج المسؤولون والمؤثرون إعلاميًّا ورجال الدين وغيرهم. بدلاً من أن يبحثوا الأمـر مجتمعيًّا، أي كيف نمنع السرقة، بالقانون، ورقابة الشرطة، وبحث أسباب

السرقة اجتماعيًّا ونفسيًّا وطبقيًّا إلى آخره، ليبحثوا الأمر فرديًّا، أي ينصحون أفراد المجتمع بشراء الأقفال وبناء أسوار عالية مكهربة ووضع كاميرات أمنيّة، وربما استئجار حرّاس شخصيين.

تخيّل، هل سنشعر حينها بالاطمئنان، أم هل ستنخفض معدّلات السرقة؟. هنا يخرج المجتمع من محاولة وقف السرقات إلى محاولة التكيّف معها كما لو أنّها ظاهرة طبيعيّة متأصّلة في النفس البشرية، وهذا غير صحيح، لأنّ "المجتمع السايب هو الذي يعلّم السرقة، وليس المال السايب". يمكنك أن تلاحظ أن "المال السايب" في بعض البيئات الاجتماعيّة الأليفة لم يكن يعلّم السرقة، بل كان يعلّم تحمّل المسؤوليّة. يمكن لبائع أن يترك دكّانه وهو على ثقة من أنّ جيرانه يحفظوُن بضاعته.

في الخطابِ الموجّه للفرد: عليكَ حماية نفسك. وهي غالبًا تستَعمل بين الأفـراد الذين يعرفون بعضهم بشكل شخصيّ، كأن أنصح صديقًا تعرّض دكانه للسرقةً، بضرورة وضع كاميرا أمنيّة في المرّة القادمة. أمّا الخطاب الموجّه للمجتمع، فهو يهدف إلى بناء نظامٍ جديد من العلاقاتِ يتيحُ تقليل تلك المشكلة إجمالاً.

استبدل مثال السرقة بالتحرّش. نساءٌ في وسائل التواصل يشتكين من ازدياد نسبة التحرّش. فكيف يواجه المجتمع هذا الأمر؟. هل يتمُّ بحثه فرديًا أم مجتمعيًّا؟ وبأي طريقة يمكن إحداث تغيير في تقليل السرقات/ التحرّشات أو خفضها في المجتمع، هل هي عندما يهتمُّ كل فرد بحماية نفسه؟. وذلك كما يقترحُ البعض بأن البنت عليها أن ترتدي زيًا معيّناً، أو تقوم بتصرفات معيّنة، وتتجنّب المرور في أماكن أو الخروج في أوقات معينة. وهلمّ جرّا.. في خطاب يتمُّ فيه التركيز على المجني عليه بدلاً من وضع الجّاني في دائرة البحث والمسائلة. بما يؤدي بطريقةٍ ما، إلى تبرير التحرّش، دون وعيّ من منتج هذا الخطاب الفردي نفسه الذي لن نشكّ في أنه لم يكن يبتغي هذهِ الغايّة.

فمن الخطأ اعتبارُ أنّ المجتمع هو مجموع أفراده، بل هو نظامٌ من العلاقات والقيم التي تجعل من مجتمع ما سويًّا، وآخر مجتمعًا مريضًا.

فللمجتمع دورٌ في الضبط الاجتماعيّ، ليس عبر مؤسساته فقط، بل أيضًا عبر قيمه وأعرافه. التي تجعل من المتواجدين في المكان العامّ يمارسون ضبطًا اجتماعيًّا. أي لماذا يتهاونون في ضبطِ سلوكيّاتٍ معيّنة، ويتشدّدون في أخرى.

اقتصاد الرفاه والتكلّف في زمن «كورونا»

عصمت الموسوي

في مطلع التسعينات أدرتُ مجلة نسائية تعنى بالموضة والعطور والمجوهرات وكل ما له صلة بالاقتصاد الكمالي إجمالا، وقد تلقيت في هذه الفترة العديد من الدعوات لزيارة دور الأزياء ومصانع العطور والحقائب والأحذية والساعات الفاخرة وحفلات مسابقات اختيار ملكات الجمال، انا القادمة من صحافة الخبر والرأي والتحقيق وجدت في هذا العالم فرصة للاسترخاء والهدوء والتغيير بعد سنوات من العمل الصحفي اليومي المضني، في هذا العالم المظهري بدا كل شيء جميلاً وزاهياً وبراقاً.

الإنسان في هذا العالم يحمل عنواناً ومعنى ما يقتنيه وما يرتديه، لا أحد ينظر إلى وجهك، أو يستمع إلى قولك او فكرك، وهو عالم يروق بالطبع لممتهني هذا النمط البذخي ولعشاقه ومريديه والمنغمسين فيه. «عالم رائـق» كنت أقول لنفسي، أو هكذا تصورت. لقد وجد أهل المال الوفير والاستعراض المظهري والزهو والتباهي ومحبو الشهرة ضالتهم فيه، إلا أن الممعن فيه والداخل إلى عمقه لن يعدم وجود التنافس الشرس بين أطرافه وابتكار الألاعيب لخداع المستهلك وتضليله استجابة لشغفه وتلهفه وجنونه على التميّز والتفرد المظهري.

ونحن نقول في أمثالنا: «رزق الله على المجانين»، وليس عشاقه مجانبين فحسب بل مستعبدين ومستلبين بوعي او ربما دون وعي، فهو يعيشون في فضاء من التصنع اليومي المرهق والضاغط على الأعصاب والبعيد عن التلقائية والبساطة، فالإنغماس فيه يعني أن تصير جزءاً منه وملتحما به ومواكبا لمتغيراته ومعطياته كل يوم، والا أصبحت غريبا وشاذا ودخيلا ولا حقتك العيون المستهجنة، وبدوت في اجوائه كتائه ضلّ الطريق.

اقمت مسافة بيني وبين هذا العالم المصطنع المتكلف ليس لأنني لا امتلك القدرة المادية على مجاراته فحسب، بل لأنني لا انتمي له من الأساس ولا امتلك المزاج والوقت لربط نفسي بعالم السلع والبضائع، وآخر صيحات الموضة والجري جري الوحوش لملاحقة عالم استهلاكي متطلب وضاغط، على العكس من ذلك التزمت في كتاباتي بمراقبة هذا العالم ونقد أساليب الموضة المستعبدة للإنسان، كما انتقدت النهج الغبي الذي سار عليه الفقراء ومتوسطو الدخول في محاكاة عالم ليس لهم، ولا قدرة لهم على مجاراته، وصدق القائل: «المعركة صنعها الأذكياء لسرقة أموال الأثرياء فصدقها الفقراء»

وذات مرة تلقيت دعوة لحضور حفل للفنانة العالمية جينفر لوبيز في دولة خليجية، وفي التفاصيل أسعار غرف الفنادق والوجبات وسعر بطاقة الحضور وفرصة للقاء الفنانة المرموقة وتلقي هدية شخصية منها ممهورة بتوقيعها، ووجدت التكلفة الإجمالية تعادل خمسة أضعاف راتبي الشهري، هاتفتهم واعتذرت، وبعد عدة أيام تلقيت رسالة بالبريد تتضمن شكراً من الفنانة، وبداخلها الهدية الموعودة التي لم تكن سوى محبس نحاسي بسيط مزدان بفص زجاجي، استفسرت عنه في سوق المجوهرات لاحقا فقيل أنه لا يساوي شيئا.

انني استذكر هـذا العالم – الذي أمضيت فيه ما يقارب العامين – وأنا اقرأ عن انحسار وانكماش الاقتصاد الكمالي تحديدا، وإلغاء المعارض والمهرجانات ومواسم عروض الأزيـــاء والمـجـوهـرات، وتدهور مبيعاته وإغلاق فـروعـه والاستغناء عن موظفيه على أثـر جائحة كورونا كوفيد 19، وتساءلت: أهي دورة اقتصادية معتادة ام مـؤشـر على انقضاء مرحلة بكل انماطها وسلعها ووظائفها وقدوم أخرى جديدة مختلفة ومغايرة ؟

وجَعُ السَّواد

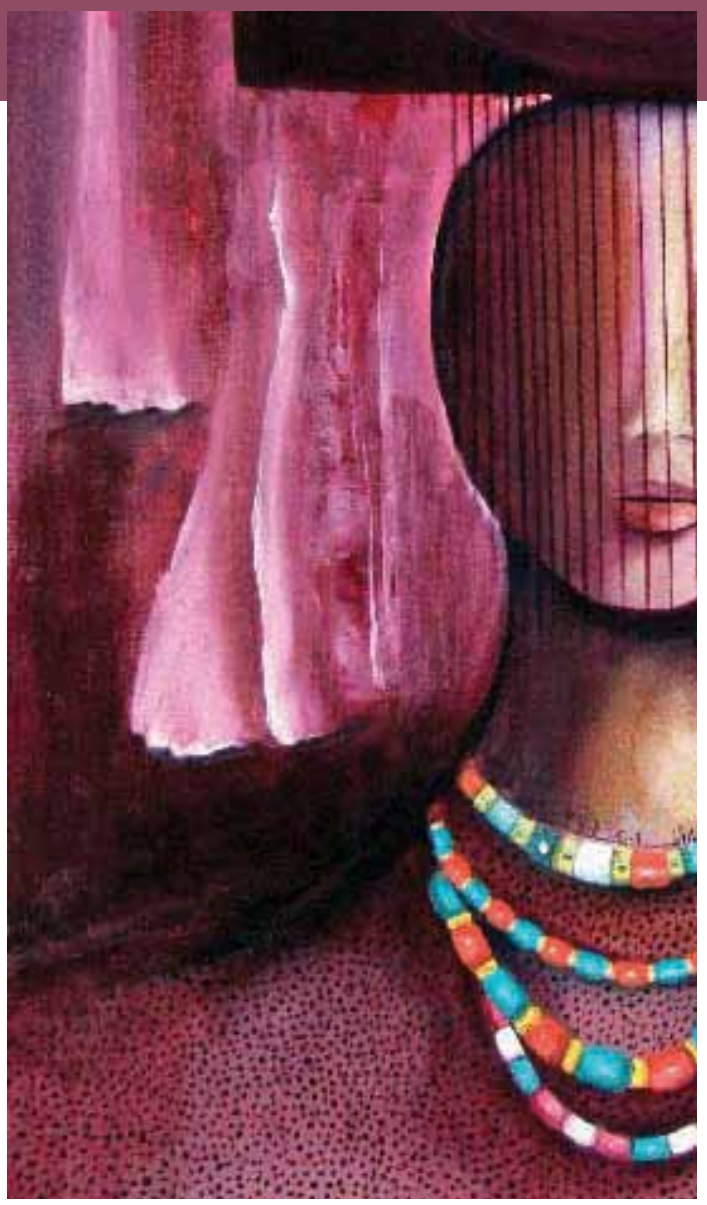

أجَلْ لا يزال للذكريات طعمَها المُر، رغم الحياة المُرفَّهة التي يعيش في ظِلالِها، والاحترام الذي يبديه له الجميع.

إنَّه جرح عميق يرفض أن يتوقَّف عن النزيف، في قلب ينوء بحمله الثقيل، حمَل الطفولة المُرَّة، وعذاب الأمّ سوداء البشرة!، تلك التي لم تعشْ يوما سعيدا قط، منذ مولدها وحتى اللحظة التي اختارها الله إلى جواره، رحمة بها من ظلم أقرب الناس إليها.

قصة قصيرة
جعفر الديري

فتح درج المكتب، وأخرج الصورة المؤطَّرة. ما أرقَّ هذه الملامح، وأطيب هاتين العينين. لقد عاشت المسكينة مأساة حقيقية، فما كادت تنعتق من شرِّ والدها الأميّ عصبي المزاج، حتَّى بُليت بوفاة زوجها طيب القلب، وبطفل يتيم منه لا حول له ولا قوُّة، لتعود مُجددا لبيت أبيها فيضيق ذرعا بهما، ويدفعها لأوَّل رجل يطلب يدها، كالخرقة البالية التي يودُّ التخلُّص منها، موقعا في نفسه أنَّها لا قيمة لها، لتكتمل بذلك مأساتها قتامة وبؤسا، وتعيش معه بقيَّة عُمرها ذليلة، مستضعفة.

وعلى رغم تفانيها في خدمته، والعناية ببيته، وعلى رغم فنون الطهي التي كانت تجيدها، فتسيل لعابه ولا يشبع منها، كان يعاملها كالمتاع، ولا يترك يوما يمرُّ دون أن يشبعها لوما وتقريعا، وضربا، ولم يلبث أن كافأها بالزواج من أخرى، أعانته على امتهانها.

لقد أجبرها وابنها على الانتقال إلى الغرفة القذرة، الحارَّة صيفا والباردة شتاء، الخالية من الأثاث، ليقيم هو مع الزوجه الأخرى بيضاء البشرة!، في الغرفة الواسعة، ذات الفِراش الوثير، والستائر المخمليَّة، والكنبات الملوَّنة.

غير أن اليوم ليس الأمس، وإذا كانت المسكينة المستضعفة، قد ألهمَها خوفها عليه وإشفاقها من ضياع مستقبله، أنها لا حيلة لها سوى الصبر، فإنَّه اليوم، قوي بمالِه ومركزه.

لقد حقَّق معجزة بكلِّ المقاييس، فلم يدر بخلد أحد، أنَّ الطفل ضعيف الجسم، ذو الهدوء المُضجر، والسكوت المُريب، يمكن أن يصبح مالكا لمؤسّسة ضخمة، يديرها بكفاءة واقتدار، مُضاعفا أمواله بشكل مهول يوما بعد آخر، مجتذبا إليه كل طامع في المال والجاه. وها هُما الشابان المُدلَّلان، صنيعة الزوج القاسي والضُرَّة اللئيمة، ينتظران في الخارج، كأيِّ ذوي حاجة يطلبون رِفده وإحسانه.

إنَّ المال، وحده قادر على إرغام أنفيْهما في التراب، وإلاَّ فمَن يصدِّق أنَّهما بطبعِهما الناريِّ، وصلفهما وغرورهما، يمكن أن يقبلا بالانتظار كلَّ هذا الوقت! لا شك أنَّهُما يُؤمِّلان الكثير، ويرجوان أن يفتح لهما أبواب الغنى.

وإنَّهُما لأحْمَقين كبيرين، بل فاسِدا المزاج، يحسبان كُل شيء رهن بإشارتهما، حتَّى عواطف الناس وأحاسيسهم. يظنان أنَّه غرٌّ ساذج، يسهل خداعه، رغم ذكائه في استثمار الأموال!. لقد حقَّق ما عجزا عنه، صحيح، لكنه الحظ لا أكثر، ولو أنَّ الحظَّ ابتسم لهما كما ابتسم له، لمَلكا الكون والعباد.

وطرق سمعَه طرق خفيف على الباب، وأطلَّت السكرتيرة، محرجة:

– أنا آسفة.. لكنَّهما يُلحَّان في...

وقاطعها قائلا:

– فليدخلا.

ودخلا. يا سبحان الله. طول أبيهما وعرضه، دمامة وجهه، لم تستطع أمُّهُما أن تورثهما شيئا سوى لؤمها وطبعها الناري، وزادت فأفسدتهما بتدليلها، فلم ينجحا في شيء، لا شهادة ولا كفاءة تخوُّلهما العمل!.

صافحَهُما بسرعة، وأشار إليهما بالجلوس، وتعمَّد أن يسأل:

– أين أوراقُكما؟!

صمت الأول للحظة ثم قال مُحرجا؟

– ولماذا الأوراق؟

ردَّ ساخرا:

– وكيف أعرف ما يناسبكما من عمل؟

ردَّ الثاني:

– نحن مستعدَّان لأيِّ عمل تراه مناسبا.

قال والسخريُّة لا تزال على فمه:

– لكنها مؤسسة تقوم على الاستثمار، وتحتاج للخبرة والشهادة.

ردَّ الأول:

– يمكننا أن نتعلَّم بسرعة.

سكت هنيهة، ليشعرهما أنَّه يفكِّر في وظيفة مناسبة، ثم قال بهدوء:

– عليكما أن تبدآ من الصفر إذن.

قالا في صوت واحد:

– تأكّد أننا سنكون عند حسن ظنّك.

قال:

– حسن، إذهبا لرئيس الموارد البشرية وسأخبره بالأمر.

كانا في غاية السعادة، صافحاه وقبل أن يمضيا، التفت الأوّل إليه قائلا في ابتسامة واسعة:

– هل يمكن أن نعرف ما نوعية الوظائف التي اخترتها لنا؟

وكان باستطاعته أن لا يقول شيئا، وأن يترك الأمر لرئيس الموارد، لولا أنَّ صورة الرجل الفظ، زوج أمِّه، وهو يهوي بكفِّه الخشنة عليها، فيدمي أنفها، وسط بكائه هو، وشماتة الضرَّة البيضاء، وضحك هذين الجروَين، كانت واضحة الألوان والظلال...

– فرَّاش ومراسل.

صاحا بصوت واحد:

– ماذا؟!

وأردف الأوّل:

– أتهزأ بنا؟!

سألْ مبديا استغرابه:

– لماذا تقولان ذلك؟!

ردَّ الثاني:

– ألم تجد غير هذه الأعمال تجود بها علينا؟

قال ساخرا:

– ما الوظائف التي تناسبكما؟ رئيس قسم مثلا؟! أتريدان الخسارة لي؟

ردَّ الأول:

– لكن...

قاطعه بحدَّة:

– اسمعا.. قلتما منذ قليل أنكما مستعدَّان للعمل من الصفر، وها أنا أمنحكما فرصة يتمنَّاها الجميع، فإما أن تقبلا أو تنصرفا.

تطلَّعا إليه بعيون مليئة بالحقد، أكّدت ظنونه بسوء نيِّتهما. لقد جاءا يجسُّان نبض الولد الطيب، الذي يسهل خداعه، واللعب على عواطفه، ولم يتصوَّرا أنَّ قلبه يمكن أن لا يصفح عنهما.

حاولا أن يقولا شيئا، لكنَّهما فضَّلا الانصراف. وقبل أن يخرجا من المكان، وصلهما صوته:

– الوظيفة بانتظاركما متى أحببتما.

وكان يعلم جيدا أنَّهما لن يأتيا مرَّة أخرى، إذ لا جلد لهما على مشاقّ الحياة، ولا تربية تعينهما على التفكير السليم، ولا عقل يشير عليهما بالتخطيط للمستقبل، لقد عاشا بليدين، حتَّى ترسَّخ الغباء طبعا فيهما. فمن أين لهما بقوَّة الإرادة التي تجعلهما يبدآن من الصفر؟!.

وأخرج الصورة مرَّة أخرى من الدُّرج، وغمرته عاطفة سامية تجاه أمِّه سوداء البشرة، تلك التي تحمَّلت الكثير في سبيل تربيته، وتعليمه، حتى صار إلى ما هو عليه. وإنَّه ليشهد صادقا على نفسه، أنَّها لو عاشت حتَّى اليوم، لعوَّضها عن كل سنين العذاب، ولأفنى ما تبقى من عمره، خادما لا يطلب شيئا سوى رضاها عنه.

صالون الحلاقة

اليوم ذهبتُ لصالون الحلاقة، لأجل حيواني الأليف، أن أقلل كثافة شعره أمر جيد وأكثر من ممتاز، حفاظاً على صحته. انتهت الحلاقة والقطة صارت مختلفة، مع هذا الشعور الأحمق أنها ليست القطة التي أحبّ، ثم إن رغبتي الدائمة في العبث بالفرو البرتقالي تحولت لارتباك، مذعورة قليلاً من المحبّة، من هذا الالتباس بين محبة ذات الكائن ومحبة مظهره، أحاول أن أكون مرحة؛ لأن القطة مذعورة أيضاً بعد مشوار الحلاقة لأول مرة.

وضحى المسجن

مرّت ساعات ولم أجرؤ على لمس القطة، لم أفهم حقيقة شعوري، تنظيم المشاعر في كلمات بات أمراً صعباً، مرة ثانية أحاول أن أكون طبيعية، أنسى الشكل الذي كانت عليه دائماً، أدللها كما كنت، أدفن وجهي في الفراء الناعم، أقول إن محبتنا أنا وحيواني الأعجم بعكس المحبات الأخرى، أهرب للموسيقى، على النوتات الموسيقية لـ(نصير شمه) أفكر، عند أي مرحلة يحدث هذا الالتباس في الحُبّ بين محبة ذات الكائن ومحبة مظهره؟

أعيد مشاهدة (السهل المحترق) أحد مفضلاتي السينمائية العريقة، أحاول أن أتعرّف على المحبّة مجدداً كما عرفتها من خلاله ذات مرة، لكن أفكاري عن المحبة والجمال مشوّشة، مغطاة بطحالب دبقة من الفكر الاستهلاكي، بكل بساطة لم ألتفت للقطة كثيراً هذه الأيام، تخليتُ عن دور الباباراتزي الذي كنتُ أقوم به طوال الوقت لأجل التقاط صورة لها، لم أعرف ماذا سأفعل بشأن هذه المحبة التي وقعت دون قصد في فخ (التفكير في أمر المشاعر معضلة حقيقية).

أقاوم المشاعر بشرب الشاي، أتأمل لوحة (الصرخة) التي كنّا أختي وأنا نظن إنها لفان غوخ، ويدوي في داخلي سؤال.. هل هناك مجال للارتجال في أحوال الحُبّ أم أننا ننفذ المتوقع غالباً؟ في لحظات الحنان، الارتباك، التوجس، الخفة، الرغبة، العطف، الخوف.

القطة صارت منطفئة وأكثر وداعة، لكن ماكنة الحلاقة غيرت شعوري اتجاهها، وأنا أهرب من حقيقة أني أحببتها للشكل الذي كانت عليه، وعجزتُ عن محبتها حين تغير شكلها، حتى إني لم أعد أعرف إن كنتُ أحببتها بالفعل قبل اليوم، وإلى أي درجة يمكن اعتبار الشعور القابل للتحول لسبب بسيط وعرضي كتغيّر الشكل حباً.

مؤلمة هي المحبة في جانبها الآخر، الجانب الملتبس الغامض، حين يتصدر الارتباك سيناريو الحدث، حين تلوح روحك غضة طريّة حتى كأنها بين يديك دون الغلالة الرقيقة التي تحميها من اللحم، تعرف نفسك على حقيقتها، تعرف نفسك كما لم تتوقع، تضيّع البوصلة بين ما أحببته وما اعتقدت أنك أحببته.

مؤلمة هي المحبّة؛ لذا أريد أن أستوعب أنها ما زالت هي ذات القطة الأليفة، القطة الجميلة التي تقربني من بشريتي وعفويتي وتعلمني كل ما تجاهلته يوماً، أريد أن أستوعب أنها القطة الأليفة حقاً، التي تتركني أشاهد الأفلام بهدوء وأدرب أصابعي بين لحظة وأخرى على الخربشة على الورق الإلكتروني المضيء، أذرع الشقة من غرفة لأخرى، بينما تعيش حريتها في خربشة زاوية محددة من الأثاث، تمضي اليوم في مشاكسة النباتات المتدليّة في المطبخ بلسانها الوردي، تتمطى في حركات غريبة على البلاط أو تنام بكل وداعة في سلة القش. وأريد أن أعود للنسخة الرقيقة مني، النسخة التي تصلح للحُبّ الحقيقي الأجمل والمختلف، تصلح للشعور به، متجاوزة كل الأفكار التي يصدرها العالم عن الشكل والجمال والحُبّ.

الجامعة البرجوازية المنقطعة عن الفئات الشعبية أدخلتني في حالة انفصام

علاء الدين بونجار: حرية التعبير قيمة أساسية لمعرفة تطور أي مجتمع

لا أعرف كم منا مداوم على قراءة الصحف، الا أنني واثقة بأن أصابعنا تعبث بقنوات الراديو بين الحين والآخر أثناء السياقة ، أو حين البحث عن صوت غير أصوات رؤوسنا. ذلك الحنين لسماع الآخر قد يقودنا الى سماع برامج متنوعة كتلك المذاعة على مونت كارلو الدولية الإذاعة التي كبرنا معها ونحن نسمع تقارير الصحافية نزيهة سعيد ، وقادتنا الى فرنسا أو اقتدنا اليها. أذكر حوار دار بيني وبين الصحافي الجزائري علاء الدين بونجار منذ سنوات عن تورطه بمهنة الصحافة. كنت قد أعددت هذا الحوار للجامعة ومنحني شعور كبير بالتفاؤل في قدرة الصحافي العربي على إثبات نفسه أينما كان. استرجعت مضمون ذلك الحوار وطلبت من علاء أن يجاوب على أسئلتي الجديدة، فكان الحوار الآتي:

حاورته:
سوسن حسن

علاء الدين بونجار، أنت صحافي في إذاعة مونت كارلو الدولية، من مواليد الجزائر. حاصل على شهادات في الحقوق والإعلام. عرفناك ببرنامجك «أسبوع في فرنسا» الذي يهتم بالأحداث الفرنسية الداخلية والخارجية في تقاطعاتها مع العالمين العربي والإسلامي، أخبرنا كيف وصلت الى مهنة الصحافة؟

– في الواقع منذ الطفولة كان هناك شغف بالمطالعة والقراءة وأتذكر أن والدي كان مشتركًا بمجلات روز اليوسف، العربي، الجيل، الهدف، الصياد وغيرها وكنت في فترة الصيف اكره القيلولة فامضي ساعات في قراءة الأعداد القديمة. في بداية التسعينيات كان التلفزيون الجزائري ينظم برنامج منافسات تربوي اسمه «بين الثانويات» ويبدو أن طلاقتي في اللغة جعلت أساتذتي في مدينة العطاف يقترحون اسمي للوقوف أمام الكاميرا والتعريف بالمدرسة والمدينة، وقد كانت تجربة مرعبة من حيث التوتر والمسؤولية وكان هذا أول تواصل مع مهنة الصحافة.

حاولت دخول معهد الإعلام في العاصمة الجزائر، لكن سرعان ما صرفت النظر لأن دخول المعهد الوحيد في البلاد كان يحتاج مانسميه «المعرفة « أي الواسطة، وقررت دراسة الحقوق والقانون لأنه كان عندي تصور أن مهنة المحاماة فيها تشابه مع الصحافة من حيث البحث والتحري وقدرات الخطابة والتحرير.

بعد أن انتقلت لفرنسا من أجل التخصص في القانون، كان الوضع مختلفا من حيث ظروف الدراسة في بلد أجنبي والركض اليومي وراء الوثائق الإدارية والعمل، أي ان كل ما قرأته عن حلاوة العيش في فرنسا اصطدم بواقع، التوفيق بين الدراسة والعمل.

فكرة اختيار مجال آخر للدراسة فرضت نفسها ولكن في جامعة اخرى غير السوربون 1 التي كان تستقبل أبناء الطبقة الميسورة وأبناء القضاة والمحامين، صحيح أنها جامعة ذات ثقافة يسارية وأحسن من السوربون 2 وغيرها من جامعات اليمين وأقصى اليمين، لكن السوربون 1 كانت تنتمي لليسار الاشتراكي البرجوازي المنقطع عن الطبقات الشعبية وهذا جعلني أعيش حالة انفصام.

الاختيار وقع على جامعة السوربون 3 وهي جامعة نشأت بعد انتفاضة الطلبة الفرنسيين في مايو68 وقد كانت تستقبل أبناء الطبقات الشعبية وفيها أيضا طلبة أجانب من أفريقيا وأمريكا اللاتينية وهناك وجدت ضالتي ودخلت معهد الاعلام والصحافة لتحضير الإجازة والماستر وبعد دورات تدريبية في الصحافة المكتوبة والإشهار، والتلفزيون وصلت إلى الاذاعة حيث كانت أول تجربة مع إذاعة الشرق في باريس وبعدها إذاعة محلية إسمها البحر الأبيض المتوسط ومنذ العام 2006 التحقت براديو مونت كارلو.

لقد عملت وما زلت تعمل في راديو مونت كارلو لفترة طويلة من الزمن، ما هي نقاط القوة التي تمتلكها هذه الإذاعة؟

– إذاعة مونت كارلو هي من بين أعرق المؤسسات الإعلامية االناطقة باللغة العربية وقد استطاعت ان تسافر عبر الأجيال طيلة 48 عامًا، وبأسلوبها ونمطها الاعلامي الجديد الذي يعتمد على الأخبار العامة والتفاعلية والترفيه والثقافة حيث استطاعت أن تتميز عن الأسلوب الصارم والنبرة الجدية لإذاعة بي بي سي، إذاعة مونت كارلو الشرق الأوسط هي روح وهي علامة فرضت نفسها لنحو عقدين من الزمن كأحد أفضل وسائل التواصل مع المستمعين العرب الشباب، في المغرب العربي لم نكن نستمع لمونت كارلو الا ليلا عندما تهدأ الموجات وكنا نحسبها اذاعة تبشيرية مسيحية ولكن علمت بعدها أن مجموعة أنجيلية أمريكية كانت تؤجر الموجات لبث نصوص دينية.

عندما وصلت الإذاعة عام 2006 كانت هناك قامات إذاعية مثل حنا مرقص، جورج نوفل، أحمد خطاب، عبد القادر خيشي، كمال كامل، عبد اللطيف شريف،غابي لطيف وفايز مقدسي رحمه الله وغيرهم من الأصوات التي عايشت الجيل الذهبي، أيام الثمانينيات والراحل حكمت وهبي وهيام حموي ورواد طربيه، وبالنسبة لنا كشباب كانت المسؤولية كبيرة في الحفاظ على الارث وتقديم محتوى يتوافق مع العصر الجديد.

بالنسبة للأخبار، قوة مونت كارلو برأيي تكمن في مجال الحرية الذي يتمتع به الصحافيون في اختيار المواضيع وطرح الأسئلة واختيار الزوايا من دون أن تكون هناك إملاءات من المكلف بالتحرير أو الإدارة، الصحافي المحرر هو أبرز استحداث في مونت كارلو عكس التقليد الإنجليزي الذي يفصل بين المحرر والمذيع.

طبعا المؤسسة هي ذات تمويل عمومي يعتمد على وزارتي الخارجية والثقافة الفرنسيتين ولكنها تتلقى أيضا جزاء من أموال الضرائب وعليه مونت كارلو ليست إذاعة ناطقة باسم الحكومة الفرنسية بل هي إذاعة تعبر وتروج للمباديء التي تؤسس الجمهورية الفرنسية: الديمقراطية والحرية في التعبير وحرية المعتقد والمساواة وأيضا الاستقلالية، فلهذا يمكن لنشرة الأخبار في مونت كارلو أن تتناول بسهولة مواضيع تنتقد سياسة الحكومة.

هناك عامل أخر يعطي قو للإذاعة قوة وهو تنوع الخلفيات الثقافية والدراسية والجنسيات المختلفة، فهناك نحو 14 جنسية وكل هذا يوسع دائرة النقاش وفهم المواضيع.

مونت كارلو مثل كل المؤسسات الإذاعية تعاني أزمة وجود مع تراجع الاقبال على الراديو وتوجههم نحو التلفزيون والمنصات الاجتماعية، ومثل جميع المؤسسات هناك أزمـة اقتصادية ومشاكل تمويل مع انخفاض الميزانية الفرنسية المخصصة للإعلام الخارجي وتوقف مداخيل الإعلانات، هذا دون أن ننسى أزمات التسيير حيث لم تتمكن الإدارات المتعاقبة من وضع مشروع تحريري يتأقلم مع التحولات الاجتماعية في العالم العربي ويرصد ذائقة المستمع الجديد الذي تستقطبه المنافسة القوية. حتى تجربة التقارب مع تلفزيون فرانس 24 بقيت حذرة ولم يتم طرح مشروع يؤسس لقطب فرنسي ناطق باللغة العربية يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات التلفزيون والإذاعة.

نرى ونسمع الكثير من الصحافيين في الإذاعة والتلفزيون وكل منهم يملك مستوى مختلف عن الآخر، يا ترى كيف يستطيع الصحافي التفوق على غيره من ممارسي المهنة؟

– هناك عدة مدارس لتقييم عمل الصحافي وأدائه، فبالنسبة للمدرسة الإنجليزية، لا يوجد شيء اسمه معاهد تلقين مباديء الصحافة وبحسبهم الشخص يولد صحافيا أو لا، وبالتالي يمكن للمهندس أو الصيدلي ممارسة الصحافة ان رغب بذلك. بالنسبة للمدرسة الفرنسية، الصحافة هي مهنة مثل بقية المهن، يجب تعلم أساسياتها في المدارس المتخصصة، وحسب سمعة ونوعية التكوين يمكن أن يختلف أداء الصحافي.

كثرة الصحافيين ووسائل الإعلام في السنوات الأخيرة جعلت البعض يروج لعبارة «أن الصحافة هي مهنة من لا يملك مهنة «على أساس أن هناك أشخاصا دخلوا الاعلام لأنه مجال سهل قد يعتمد على الشكل ومخارج الحروف السليمة، وفي اعتقادي هذا الكلام لا يجانب الحقيقة، على اعتبار الكم الكبير للدخلاء على المهنة.

لكن في الواقع، الصحافة هي مهنة ذات أسس علمية، ولكنها مهنة تتطلب خاصية أساسية وهي الروح والإنسان الذي بداخلنا. فقبل الصحافي يجب البحث عن الانسان. يمكن لأي شخص أن يدفع التكاليف ويحصل على الدبلوم من جامعة مرموقة ويصبح صحافيا ومذيعا مهنيا، لكن التفوق والتميز والتأثير يتطلب شيئًا إضافيا غير موجود في مقررات المعاهد وهو الإنسانية والصدق والأخلاق.

التميز يكون من خـلال محاولة الصحافي قدر المستطاع ان يضع نفسه مكان الآخرين ونقل الخبر من دون خلفية وحكم مسبق، وهذا يسمى الحيادية. يضاف إلي هذا الفضول والبحث، وبدرجة كبيرة التواضع، لأن الغرور هو أحد أمراض الإعلاميين حالياً.

كثير من الكتّاب والصحافيين ينتابهم شعور عدم التقدير من قبل الحكومات والمؤسسات. هل أنت من الذين ينتابهم هذا الشعور؟ ومالذي يجب فعله لعكس المعادل؟

طبعًا هذا الشعور موجود بقوة لاسيما عندما يصل الموظف إلى درجة من الارتقاء في السلم المهني داخل المؤسسة ويحس بأنه لن يستطيع أن يتخطى هذه العتبة، في الوقت الذي يرى فيه آخرين بنفس المهارات أو أقل بكثير يحصدون الثناء والمكافاءات.

للوهلة الأولى عند دخول مكان العمل لا ننتبه لهذا الإحساس وقد لانولي اهتماما لملاحظات من هم أكبر سنا وأكثر خبرة وامتعاضهم الدائم من مسؤول التحرير الـذي لايفقه شيئا، وقد نقول في قـرارة أنفسنا أن الشخص متمرد ولا يحسن العمل بصفة جماعية، لكن مع الوقت وتكرار المحاولات وتأخر مجيء الاعتراف من قبل المسؤولين، قد نصل إلى نفس الإحساس والشعور.

منذ الصغر نسمع في المدارس عبارات المثابرة، العمل، الصرامة، الدقة ، ونظرتنا حول عالم الشغل تبدأ بفرضية قوية مفادها أنه إذا كان لدينا تكوين أكاديمي قوي وإذا كنا جيدين ومخلصين في العمل فيمكن أن ننجح. بعد فترة نصطدم بالواقع ونلاحظ أن الكفاءة ليست شرطا ضروريا للنجاح وقد نجد أن بعض المسؤولين هم غير أكفاء وليسوا متمكنين، ورغم هذا يبقون في مناصبهم وهنا نتساءل عن الخلل؟. الإجابة نجدها عندما نقرا التاريخ ومفهوم الكاكيستوقراطية لدى الإغريق والتي تعتبر شكل من أشكال الحكم عن طريق الأسوأ، ونجد الإجابة أيضًا في علم الاجتماع و»مبدأ بيتر» القائل بأن كل موظف تتم ترقيته بسبب عدم كفائته لأنه سيبقى دائما مدينًا وتابعًا لمن منحه المنصب بينما المهني يقول إن الارتقاء هو نتيجة جهده. فكل فاشل يأتي بمن هو أفشل منه حتى يبدو الفاشل شخصا جيدا لعكس شعور عدم التقدير، يجب ببساطة عدم انتظار التقدير وعلى الصحافي ان يلتزم بأداء عمله حسب قناعاته وعليه أن يفهم أنه يمارس مهنة نبيلة يمكنها أن تحرك الخطوط وتدفع لتغيير الأمور.

في رأيك، ما هو البلد العربي الأكثر منحاً لحرية الصحافة ؟ و لماذا ؟

– تونس باعتقادي هي أحسن بلد لممارسة مهنة الصحافة في العالم العربي حاليا والفضل يعود لمكتسبات ثورة الياسمين حيث أسست عملية الانتقال الديمقراطي لبناء أسس منظومة إعلامية حرة، مستقلة ومتعددة، طبعًا مازالت هناك بعض الشوائب والممارسات التي بقيت من فترة العمل إبان المرحلة البوليسية كما ان الثورة دفعت بالكثير من الشباب لامتهان الاعلام بطريقة عشوائية ولكن هناك فرق بين ممارسة الإعلام في بدايات الثورة وفي الوقت الحالي وأنا متأكد أن حرية الصحافة هي من ابرز مكتسبات الثورة التونسية .

ما هي الجهود التي تقترحها كصحافي لتعزيز حرية التعبير؟

– حرية التعبير هي قيمة أساسية لمعرفة تطور أي مجتمع وهي تشمل حق نقل الخبر والحصول على المعلومة بدون قيد أو شرط، وأيضا الحق في ابداء الآراء والأفكار وحرية المعتقدات الشخصية، والملاحظ ان هذا الحق يكون منقوصا سواءا في المجتمعات التي تملك تقاليد ديمقراطية أو غيرها. هناك دول قليلة جدا في العالم تملك حرية إعطاء الدروس للآخرين في مجال حرية التعبير واحترام الصحافيين لأن معظم النظم وإن اختلفت أساليبها تحاول أن تضبط وتراقب.

ولهذا فإن تعزيز حرية التعبير، برأيي، يبدأ أولًا بأن نسلم بعدم وجود تجربة إعلام مطلقة وبعدم وجود حرية تعبير مطلقة ونشاهد في فرنسا مثلا أن وسائل الإعلام الكبرى وبالرغم من تنوعها فهي تروج لخطاب معين وتتناول زوايا محددة. وثانياً، حرية التعبير هي ثقافة منعدمة في مجتمعاتنا العربية وعلينا أن نبدل العقليات وأن نربي أولادنـا في البيوت قبل المدارس، على حرية التعبير، فبدل أن نوبخ الطفل من دون شرح ونأمره بالامتثال دون نقاش، علينا الاعتماد على الحوار والتفسير والاستماع، لأن طفل اليوم هو رجل وسيدة المستقبل. وأصدقك القول أن الفرد الذي تربى على الخوف وعدم ابداء الرأي في البيت سيصبح فردا بالغا بنفس إحساس الخوف داخل مجتمعه أو في مجتمع اخر حر وديمقراطي.

في الأخير يجب علينا كأفراد وإعلاميين ألا نحصر مصادر معلوماتنا على الوكالات والصحف، فهناك مع وسائط التواصل الاجتماعي، كم هائل من المصادر البديلة والمستقلة التي توفر معلومات تسمح لنا بفهم العالم من زوايا مختلفة

في الختام، هل تعد لمشاريع صحافية في الأفق ؟

– هدفي هو التحرر من الراتب الشهري الذي أعتبره عدو الصحافي الأول فهو الذي يقهره ويجعله يتحمل رداءة الاخرين . هناك العديد من الأفكار التي كتبتها في السابق والتي تدور في رأسي حاليًا وأرغب في تحقيقها عبر وثائقي مصور. مهنة الصحافي هي فن ومثلما يترك الكاتب مؤلفًا والرسام لوحة، يمكن للصحافي أن يترك أثرا

لـديّ فـكـرة وثـائـقـي عـن المـقـابـر في الـدول العربية، أعتقد انه سيكون من اللافت معرفة كيف تهتم مجتمعاتنا بـالأمـوات والمـقـابـر، ربمـا هذا سيعطينا فكرة عن مكانة من هم على قيد الحياة.

المنامة

وجيهة رضي

المنامة حروف السهاد، وتجليات الوجد. تتراءى بين جنباتنا بضجيج خفي يسير بنا بين أزقة مائلة فتنوء بنا الذاكرة خيالاً وذكرى، نقتطع الطريق القصير فنلتقي بلوحات تحاكي فينا أشياء وأشياء فهنا بيت فلان، ومسجد عتيق نعرفه بصورته المزهوة في داخلنا فخراً، فنرفع يدنا نشير إليه نحكي حكايته حيث كان وكيف كان، نلوذ بين عطفة وأخرى فنقرأ خصوصية مختزلة في مآتم، فنرجع لحكاوي الأهل عنها.

رايات المنامة السود بيضاء رائعة نحتضنها شوقاً ونتذكر أقدامنا وهي تجري وراء المواكب لنلحق بها وصراخنا ونحن ننادي باصوات البراءة: «عزا ، جه العزا»، بينما تبدأ صواني عيش المأتم المحمولة على الرؤوس في نشر رائحتها التي لا تقاوم.

المنامة زفة وداع رمضان، وهي تجوب الأحياء يسير فيها مختلف الأطياف يرجون رمضان العودة فنفز من مراقدنا المفتوحة على السماء لنهرع حفاة نسمع دقات الطبول وأهازيج الغناء وقلوبنا حزينة لفراق رمضان.

المنامة لهجة محببة منسابة كنهرٍ متدفق من علو تشوب حروفها، ميل جميل يحيك للمرأة أنوثة برقّة النسيم، وتميز رجال المنامة عن سائر المدن من أول حرف ينطق.

المنامة سجل للتاريخ بها تجلت ذاكرة وطنية متخمة بالأحداث تبدأ بالأجداد وتنتهي بنا، فنحن والأجداد شهود عليها.

المنامة أحياء متلاصقة مختلفة الأطياف واللهجات لكنها سجل للتسامح متآلفة منفتحة تنسجم في صداقات وذكريات تعصر ذكراها قلوبنا إلى اليوم.

المنامة رائحة الخبز في الأجواء الباردة نحملها بين أيدينا ومن المستحيل أن تصل من غير أن نلتهم أطرافها.

المنامة امهاتنا خارجات من المآتم يسرن في أسراب نسمع عباراتهن المعنونة والخاصة بهن (ما بغت تفرغ طولت في الردادية .. أخذت مكاني خلتني اقعد في الوسط ".. تلتقط آذاننا العبارات ونحن نسير خلفهن حيث يسرن.

المنامة هبات العليل مع بداية الشتاء، وجوف الفجر حيث تقرع أصوات أذان الفجر قلوبنا بينما أعيننا في ليل سباتها تغفو.

المنامة طريقنا إلى المدرسة نفخر كلما ثقلت حقائبنا، ولا ننسى ونحن نتجه للبيت أن نسرد سيرة معلماتنا بتكرار يومي غير ممل.

المنامة نوافذ تفتح على أفق المواسم والمناسبات، ففيها المواليد بهجة وفيها ذكرى محرم علامة ناصعةٍ. المنامة تلاقي الروح وعالمٍ الطيف، كنا فيها ابرياء نحبو واطفالاً نلهو وكباراً نبني وأجيالاً تحلم.

جين أوستن.. الكتابة عن الحبّ أو حبّ الكتابة؟

بتول حميد

على الرغم من كون رواياتها تضج بالشوق وتخفق بالحبّ؛ إلا أن حياة جين أوستن التي أشرقت صباح 16 ديسمبر عام 1775م في قرية صغيرة بجنوب إنجلترا، لم تكن بهذا النحو الرومانسي، إذْ لم يطرق الحب قلب جين إلا مرّة يتيمة طيلة حياتها في قصة عاطفية لم تكلل بالنجاح.

عندما أحبت جين أوستن الشاب الإيرلندي توماس ليفروي، رفضت أسرته هذه العلاقة وهددته بحرمانه من التعليم ومن تأسيس عمله في المحاماة. لم يستطع ليفروي مجابهة هذه العقبات لذلك انفصلا وتزوج بأخرى. في حين ظلت جين عزباء حتى وفاتها في 18 يوليو من العام 1817، وهي في سن الواحدة والأربعين.

صيّرت جين هذا الحبّ رغم شقائه بطريقة مغايرة في رواياتها، ذيلت خواتيم رواياتها بحفلات الزفاف والنهايات السعيدة، وكأنها أرادت تعويض بطلاتها بالسعادة التي حرمها منها الواقع، لتكون أحد أهم الأصوات الأدبية في القرن التاسع عشر التي تعكس حياة العصر الفيكتوري؛ في وقت أبت فيه الساحات الاجتماعية ظهور كينونة امرأة ترتكب الكتابة واعتبرت الأدب حكراً على الرجال فقط.

يرجح الكثير من النقاد أنّ السبب الحقيقي وراء عدم زواج أوستن، هو أنها أقامت علاقة خاصة مع الأدب، فأحبته وأفنت فيه حياتها. بينما يجزم البعض بأن احتمالية زواج سعيد في حياة جين كانت سترصد الكثير من الالتزامات والأعباء التي ترفض الكتابة الإبداعية، ومع افتراض رعايتها لأسرة كبيرة ربما لم تجد جين الوقت لتكتب بنفس الشغف، لذا ضحّت بالأمان المالي والسعادة الزوجية لتحتفظ بالكتابة.

تقول جين في إحدى رواياتها: «كل شيء يمكن أن يحدث، أي شيء يُمكن أن يتحمله الإنسان إلا أن يتزوج بغير حُب»؛ فهل كانت هذه الكاتبة الإنجليزية تصنع مفارقتها الأدبية بين واقع يرفض الحبّ وخيال يرنو إليه؟ أم أنّ كشعور يبدو الحب أجمل في أدراج الكتابة؟

واحة الفكر

مقتطفات من لقاء مع آلتوسير

الماركسية والأناركية

ترجمة وإعداد: هشام عقيل

«أجرى هذا الحوار التلفزيوني الصحفي والمحاضر ريناتو باراسكاندولو مع لوي آلتوسير في روما على سطح إحدى البنايات المطلة على قبة كاتدرائية القديس بطرس التابعة للفاتيكانفي أبريل 1980»

■ أتحيلنا كلمة «تقرير المصير» إلى «الشيوعية»؟ ليس بالنسبة إلي.

* ما هو الفرق؟

■ الفرق هو أن ليس لكلمة «تقرير المصير» أي أساس أو محتوى؛ بينما الشيوعية موجودة. ليس هناك أي وجود لتقرير المصير، بينما الشيوعية موجودة. على سبيل المثال أنها توجد هنا بيننا على هذا السطح في روما.

* بأي معنى؟

* الشيوعية هي نمط إنتاجي يخلو من علاقات إقتصادية مبنية على الإستغلال، ومن علاقات سياسية مبنية على السيطرة؛ وكما أنها تخلو من علاقات أيديولوجية قهرية أو تخويفية، ومن الاستعباد الأيديولوجي أيضاً. لا توجد هذه العلاقات بيننا في هذا المكان الذي نحن فيه تحديداً.

■ تعني هنا... في هذه اللحظة بالتحديد؟

* نعم، في هذه اللحظة تحديداً. جزر الشيوعية موجودة في العالم كله؛ على سبيل المثال: الكنيسة، ونقابات معينة، وحتى في خلايا معينة تابعة للحزب الشيوعي؛ لدينا في الحزب الشيوعي خلية شيوعية؛ هذا يعني أن تم تحقيق الشيوعية. أنظر كيف تُلعب لعبة كرة القدم وماذا يحدث فيها؛ إنها لا تتعلق بعلاقات مبنية على السوق، ولا بالسيطرة السياسية، ولا بالتخويف الأيديولوجي؛ هناك أشخاص من أفرقة مختلفة تتعارض مع بعضها البعض، لكنها تحترم القواعد، أيّ، تحترم بعضها البعض. الشيوعية هي الإحترام للبشرية.

■ما هو الفرق ما بين الإحترام والحب؟

هناك فرق كبير جداً. خذ الكنيسة على سبيل المثال. حين قال المسيح عليك تحب جارك، يتحول الحب هنا إلى أمر؛ أنت تأمر على، عبر ضم الآخر، أن تحب جارك كما تحب نفسك؛ لكنني لا أحتاج إلى أية أوامر. بينما إحترام الآخر هو مسألة راجعة لك وحسب. أما إذا قلت إن عليك أن تحب الآخرين، يصبح الآخر متضمناً في حبك؛ لا يمكنه الهروب. وماذا يمكنه أن يصنع إذا هو لا يهتم بحبك؟ ماذا تفعل إذا أصررت: "أنا عليّ أن أحبك، عليّ أن أحبك لأن المسيح طلب مني ذلك"؟ عليك أن تهرب. لكن إذا كنت تكنّ للآخر إحتراماً، فأنه سيتركك أن تفعل ما تشاء؛ إذا أرادك أن تحبه فليكن، لكنه إذا لم يرد ذلك فليكن كذلك. إذا كنت تحبه، عليك أن تقول للآخر أنك تحبه، لكنك إذا لم تحبه فافعل ما شئت.

■ قال لينين إن وجه الشبه ما بين الماركسيين والأناركيين يصل إلى تسعة – أعشار بينما يصل وجه الإختلاف إلى عشر وحسب؛ الشيوعيون يريدون تحلل الدولة بينما يريد الأناركيون تقويضها بشكل مباشر. أتتفق؟

* نعم أتفق مع ذلك. أنا أناركي، أناركي اشتراكي؛ أنا لست شيوعياً لأن الأناركية الاشتراكية تتجاوز الشيوعية.

■ لماذا إنهارت هذه الوحدة الثقافية ما بين الأناركية والشيوعية؟

* إنه تاريخ دارماتيكي جداً! أنت تعرف أن في علاقة ماركس وباكونين تكمن قصة صفات شخصية ماركس المهيمنة. يا لها من قصة مأساوي! لقد عامل ماركس الأناركيين بطريقة مستحيلة، بطريقة غير منصفة. هذا أدى إلى إحتقار الجماهير الذين لا يمكنك أن تكسبهم هكذا في بضعة أيام. هذه الأمور تبقى لمدة طويلة جداً، مثلما حين يعاملك أحدهم بطريقة سيئة جداً؛ ستحتاج إلى المسيح كي يقنعك أن تتحدث إليه مرة أخرى؛ لن يكون بإمكانك أن تسامح، ولن يكون بإمكانك أن تسامح الآخرين أيضاً. كيف يمكن للمرء أن يسيء لأشخاص هكذا من دون أي إحترام لهم، كما فعل ماركس لباكونين؟ كان باكونين مجنوناً بعض الشيء، لكن هذا لا يعني شيئاً على الإطلاق، هناك الكثير من المجانين في كل مكان؛ أنا مجنون أيضاً.

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 153 ـ أغسطس 2020 السنة الثامنة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

دموع الموسيقى

حميد القائد

(1)

سلامٌ عليكَ
أبا سلام
يا حاديَ الحبِّ والأنغَام
فِي غيابِكَ كيفَ الوردُ ينام
أيَا شهوَةَ الوطنِ المَفجوع
أيا إيقاعَ الفقراءِ في ليالِي الأَرَقِ
أيَا دَمعةَ الموسيقى
والطبلةَ والكمانِ
ماذا سَيكتبُ عنكَ الزمان
سلامٌ عليكَ
سلامٌ سلام

(2)

كيف ترثيكَ بلادٌ نُبْتَ في وَجْدِها
وكنتَ فارسَها المُستهام
وكنتَ ترسَمُ على إيقاعِ البحرِ
أحلامَكَ انشودةً
تحاورُ الفراشاتِ في مساءاتِ الشَغَفِ
والعشقُ في قلبكَ يَتشظَّى هَيام
فبأيِّ حُروفٍ نكتبُ اسمَك الآنَ
وَبأيِّ كلامْ
سَلامٌ عليك
سلامٌ سلام

(3)

أيُّ بُكاء يَكفيكَ
أيُّ حُروفٍ ترثيكَ وترثِينا
وتغسلُ ما كانَ فيكَ وفِينا
فغيابُك ليسَ غيابَ الموتى
فأنتَ رَحيقُ الأرضِ الحُبلى
بالرطبِ وبأزهارِ الدفلى

أيُّها الراحلُ الحاضِر
في نَوتاتِ الأحلامِ
سلامٌ عليكَ
سلامٌ سلام

لقاء الأحبة

(1)

هل رأيتم دموعَ العشبِ
انا رأيتها هذا الصَباحَ
تتدلّى صَاعدةً الى أبوابِ المَدينة
تتدفّقُ من قلوبِ الرفاقِ
سمعتُ نَشيجَ اَلبيانو والكمَان
مُودعًا الفارسَ
وهو يَغادر المَكانَ والزَمَانْ

(2)

في المقبرةِ سمعتُ صوتَ ناي
ودقاتَ طُبول
وتراتيلَ غيرِ مفهومة
في الخلفيةِ سمعتُ مُوسيقى
كانَ مجيدٌ يَعزفُ السَكسفون
مرحّبًا بالقادمِ الجَديد

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com